بنت الهدى

الباحثة عن الحقيقة

دار التعارف للمطبوعات

بيروت - لبنان



اسم الكتاب : الباحثة عن الحقيقة

المؤلف : بنت الهدى

الناشر : دار التعارف للمطبوعات

المكتب : شارع سوريا بناية درويش
الطابق الثالث ت : ٢٤٧٢٨٠ ـ ص٠ب ٨٦٠١

المستودع : حارة حريك ـ شارع محمد علي رحال

الطبعة الثانية ١٩٨٠م ـ ١٤٠٠هـ

لقيتها فاحسست انني لمأعرف معنى الحياة قبل ان القاها ، كان كل ما فيها يشدني اليها بعنف، وقوة، وعذوبة ، ورقة ، عيناها الكحلاوين كانتا كقبس من نور لم اعد اعرف كيف ابصر طريقي بدونهما ، خصلات شعرها الشقراء المنسابة كانت بالنسبة لي خيوطا من ذهب تعلقت باطرافها نفسي وتابعت تموجاتها خفقات القلب عندي ، واستمعت اليها تتحدث فوددت لو بقيت تتحدث وبقيت إستمع اليها العمر كله ، وكنت اشاهد المعجبين من حولها يتزاحمون على القرب منها ويتنافسون على سماع كلمة من كلامها فهم يحومون حولها كما يحوم الفراش على ضوء المصباح ، اما انا فقد شغلت بها عن كل شيء حتى عن الدنو منها والتحدث اليها ، كنت كالعابد السابح في ملكوت عبادته الغارق في مشاعر صوفيته قائما في محرابه لا يريم ، وهكذا

كنت انا في جلستي تلك مستغرقا في الانجذاب اليها مشغولا بذلك عن كل شيء حتى عن الحركة نحوها لا اريد ان اغير من وضعي شيئا لكي لا اخسر لحظة من لحظات هذا الفناء في ذاتها ، وكانت هي ـ كما كنت انا ـ طالبة في الصف الثالث من الجامعة ولكنها جديدة بالنسبة لهذه الجامعة بالذات اذ وفدت اليها اخيرا مع غيرها من الطلاب الذين اندمجت جامعتهم مع جامعتنا في مطلع هذا العام ، ولهذا فقد كنت اراها للمرة الاولى ويبدو ان غيري من المعجبين كان قد رأها من قبل ، ولم اكن لابرح مكاني ذاك لولا انها قد انصرفت مع شلة من الطلبة والطالبات وقد القت علي نظرة فضول قبل انصرافها وكأنها تنكر علي عزوفي عن الدنو منها ، وقد نبهني انصرافها الى ان الدوام قد انتهى وان علي ان انصرف ايضا فجمعت كتبي وسرت نحو البيت وأنا لاأكاد أبصر أو أحس شيئا سواها .

ومرت الايام وانا اراها من بعيد فلا اجرأ على الدنو منها مع كثرة من يدنو ، وكنت اجدها توزع على من حولها ضحكات بريئة وتتقبل منهم المداعبات الصغيرة ثم تنفر منهم عند أي تجاوز للادب أو تهاون بالكرامة وكان ذلك مما يحببها الي أكثر ، ويجبنني عن الدنو منها بشكل اكبر ، وكنت الاحظها احيانا وهي تتطلع نحوي بشيء من الاهتمام وبنظرة تختلف عن نظراتها للاخرين، وخمنت انها تعجب من هذا الانسان الذي لم يضعف امام اغراءات جمالها ولم ينقاد نحو نداء انوثتها ، وعجبت ان تعتب علي لهذا الترفع الموهوم جاهلة ان هذا الانسان الذي تعتب عليه قد ضعف فافتقد كل شيء حتى الجرأة على الدنو منها ، وان هذا الذي تتصوره اقوى من الاخرين ما هو الا اضعفهم واكثرهم انقيادا ، وكانت نظراتها تلك تسلمني الى مزيد من العذاب، فكنت أعود الى غرفتي كئيبا حزينا أراجع المعاني المستترة وراء نظراتها

اكثر مما اراجع دروسي ، وافكر في موقفي منها اكثر مما افكر بمستقبلي ، لقد كانت تحسب انني غافل عنها وانا لم اكن اعيش الا بها ومن اجلها ، لكم كنت اتمنى ان ابدو على حقيقتي ولو الى دقائق فاطلق عن نفسي هذه القيود التي تشل حركتها واروح ارفل في سعادة التحليق مع اماني العذاب ، فتغدو كل دقة من قلبي حكاية حب وتستحيل كل خلجة من خلجاته الى صورة من صور الفناء ، أتراني أتمكن ان اصف بعض مشاعري نحوها ؟ او اعبر عما كنت أحسه ؟ أبدا فقد كان الحب يعصف بقلبي ويطغي على وجودي كله فيا لطول ساعاتي تلك ويا لثقل مرور الزمن علي حين ذاك كنت اتمنى لو يقف مرور الزمن حينما أكون أمامها واستبطأ لحظات مروره حينما أكون بعيدا عنها ، طالما تمنيت أن أموت في جلسة من جلساتي امامها وهل كنت اجد للحياة معنا بدونها؟ كنت احب الحياة من اجلها واتمنى الموت خشية عدم الحصول عليها ، ليتها كانت تسمع نبضات قلبي وتفهم حديثها او ان تصغي الى حديث فؤادي وتتابع نشيده الذي لا ينفك عنه لحظة من زمان (احبك) صحيح انها خفقات قلب ولكنها كانت حكاية حب نعم حكاية حب هي بالنسبة لي حكاية عمر فقد بدأت اوقت عمري واحده منذ أبصرت بها عيناي وفي صباح يوم من الايام وكنت قد بكرت بالجلوس في ركني

المنعزل من الحديقة انتظر قدومها كعادتي في كل يوم مكتفيا بالنظر اليها من بعيد وبالنجوى الصامته التي يرددها لها قلبي ، وهل كان للقلب حديث سواها بعد ان اصبحت اراهـا في كل شيء ، في خضرة الريـاض الزاهية ، وزرقة السماء الصافية ، واشراقـة القمر المنيرة ، واحسها مع كل شيء مع نسمة الهواء العذبة ، ونهلة الماء الرائقة ، واريج الزهر الفواح ··· وفـي ذلك الصباح لم يطل انتظاري لها فقد رأيتها تدخل ثم تلتفت حولها وكأنها تبحث عن احد ، ثم رأيتها بعـد ذلك تتوجه نحوي فلم اصدق ما ارى ولكنها الحقيقة بعينها ولم تمض لحظـات حتى كانت تقـف أمـامي بقوامها المشوق وابتسامتها الخلابة ، آه نعم لقـد رأيتها امامي ، وسمعت صوتها باذني وهي تقول ·· مرحبا فؤاد ·· اتسمح لي ان اجلس معك قليلا فان لدي سؤال ؟ فارتبكت واحترت كيف اتصرف ، انهـا تسألني هل اسمح؟ عجبا ! أو ليست هي معي منذ رأيتها حتى الان ؟ انها لم تبرحني ولم ابرحها لحظة فما معنى ان تسألني هذا السؤال؟ أتراها تهزأ بي وهي تسألني هل اسمح ؟ وهل تراني اتمنى غير ذلك؟ ثم اسعفني لساني بالكلام فقلت متلعثما :

نعم نعم تفضلي واجلسي ·· وجلست الى جواري
ولم نفترق الا بعد أن عرفت عني كل شيء وعرفت أنها
تبادلني نفس الشعور وشعرت انني ملـكت الدنيـا
بأسرها حينما ملكت قلب هذه المعبودة الصغيرة ·

وانصرفت سندس الي وحدي ، وبدأت ترفض الحائمين حولها بعنف ، اما انا ، فقد انصرفت اليها بجميع وجودي مع انني عرفت انها من دين غير ديني، ولكن لم يكن الدين ليؤثر على الحب الذي كنا نعيشه، فما عرفنا من الدين غير رموز ونعوت امليت علينا املاء من قبل اهلنا ونحن لا نفهم منه سوى اسمه ، فانى لهذا الدين المغلف بالضباب في أذهاننا ان يؤثر على هذا الحب الواضح المعطاء ؟ ولهذا فقد شربنا من كؤوس السعادة احلاها و غدونا لا نفترق الا في الساعات القليلة من الليل ولم يكن يكدر صفاء هذا الحب سوى مضايقات زميل لها في الدراسة كان قد انتقل معها من تلك الجامعة وكان يبدو مغرما بها الى حد بعيد زاعما بان له الحق الاول في القرب منها لانه يماثلها في الدين وينتمي الى نفس البلد الذي تنتمي اليه وكان دائبا على ملاحقتنا بالاذى وتهديدنا بالوعيد ، ولكن جبنا كان لا يسمح لنا بمزيد من الاهتمام حتى حدث ان

اصطدمنا بواقع كنا في غفلة عنه ، ماذا لو انتهت فترة الدراسة وكان علينا ان يذهب كل الى بلده واهله ؟ ماذا سوف نصنع حين ذاك وقد أصبحنا بشكل يتعذر علينا الفراق ٠٠ لا شيء سوى المبادرة بالزواج، ولكن الزواج كان حتى ذلك الوقت اخر مانفكر فيه ، ومع هذا رضينا بهذا الحل ابقاء على حبنا وعلاقتنا ، عند ذلك واجهتنا عقبة واحدة هي الاختلاف في الدين ، لان الزواج لا يتم الا اذا اتحدنا في الانتساب الى دين واحد ، وأبدت هي استعدادها لان تنتسب لديني فشكرتها على مبادرتها هذه وصرت أسأل عن أقصر طريق لانجاز الموضوع فقيل لي ان علي ان اخذها الى عالم ديني يعلمها الشهادتين وبذلك تصبح مسلمة مثلي ، ثم حاولت أن أعرف كيف يمكنني الوصول الى مثل ذلك العالم الديني ؟

وبعد أيام ارشدني أحدهم الى بيته ٠٠٠ فتوجهنا اليه في مساء يوم من الايام ، وكنت أتصوره شيخا قد انحنى ظهره وابيضت حاجباه وملات التجاعيد وجهه الضامر القميء ، وكنا قد قدرنا معا قبل ان نصل باننا سوف لن نتمكن ان نفهم كلامه حينما يحرك به شفتيه بعبارات لاشك انها عتيقة تتخللها كلمات من الذكر والتسبيح ، قالت سندس : ان عليك أنت أن تفهم مايقول قلت :

ولماذا علي أنا بالذات ؟ وتضاحكت وقالت :

لانه يماثلك في الدين فهو مسلم وانت مسـلم ، ولهذا عليك أنت بالخصوص أن تفهم تمتمته العتيقة، ولا أنسى انني أجبتها ببرود قائلا : آه ، نعم اني مسلم، وعندما وقفنا أمام الباب التصقت بي سندس قائلة:

فـؤاد هـل تعلم بأنني خـائفة ؟ ولا أنـكر انني كنت خائفا مثلها فهي اول مره كان علي ان ادخل فيها الى بيت عالم ديني ، نعم عالم ديني يعتبرني ولا شك من المارقين العصاة ، كنت اخشى ان ينهرني ويقسو علي بكلماته ، كنت اخشى ان يمتنع عن استقبالـي لانني منحرف (على حد زعمه) فلطالما حذرني أصدقائي من الاحتكاك بمثل هؤلاء ، فهم حاقدون على كل شيء ، الشباب ، والجمال ، والثقافة، والمال ، لانهم لايقدرون على امتلاك شيء من هذه الاشياء ولعل عجزهم هذا هو الذي جرهم الى سلوك هذا الطريق فالفشل قد يدفـع صاحبه أحيانا الى الانتحار وهؤلاء أعقل من المنتحرين فهم يبنون لانفسهم قواعد تدر عليهم المال والجاه دون أن يكلفهم ذلك أي عمل ... ولكن ، ومع ان أفكاري كانت غير مريحة بالمرة فقد تظاهرت بالجرأة وقلت لها :

ولماذا تخافين ياحبيبتي ؟ انه أمر روتيني سوف ينجز خلال دقائق تصبحين بعدهـا مسلمـة مثلي !

قالت :

وأنت كيف أصبحت مسلما ؟ فتحيرت بماذا أجيب ثم قلت :

آه . نعم . أنا كيف أصبحت مسلما ؟ في الحقيقة لست أعلم ولكنها الوراثة ، قالت :

وهل أن الدين ينتقل عن طريق الوراثة؟ فضحكت قائلا :

أقصد انني ابن اسرة مسلمة ولهذا أصبحت مسلما والظاهر انها لم تقتنع فقد ردت علي قائلة :

لقد قلت لا أدري وهو الصحيح ياحبيبي، فضغطت على يدها قائلا :

نعم انه هو الصحيح ياحبيبتي... ثم طرقنا الباب ففتحه لنا طفل صغير اسمر اللون نافذ النظرات تبدو عليه خمائل الذكاء مع شيء من الخجل ، ثم قادنا الى غرفة جانبية منعزلة وجدنا فيها العالم الديني ، وكانت مفاجأة لست أنساها ابدا وأنى لي أن انسى تلك اللحظات ؟ فقد وجدتني أمام شاب لايتجاوز الاربعين من عمره مشرق الوجه ، جميل الطلعة ، حسن الزي نظيف المسكن والملبس ، وقد استقبلنا بكلمات ترحيب حديثه مهذبة وبصوت هادىء رصين ، وحينما أعطاني يده للمصافحة وجدتها يدا نظيفة مترفة تبعد كل البعد عن تلك اليد السوداء المعروقة ذات الاظافر

السمراء التي كنـت أتصورهـا للعـالم الدينـي ، واحسست بالراحة والركون الى هذا الانسان والتفت نحو سندس استطـلع رأيهـا فيه فوجـدت نظراتها تحكي عن الاعجاب والاستغراب ، وعندما استقر بنا الجلوس همست لها قائلا : الا تزالين خائفة ؟ قالت: كلا بل انني احس بالراحة ، ثم بدأت في الحديث فورا فحدثته عن الحب الذي جمع بين قلبينا منـذ سنين وكيف اننا الان في حاجة لان يشهد هو باسلامهـا ، ولهذا فانا ارجوه أن يكرر الشهادتين لتعيدها هـي امامه ، فابتسم بلطف وقال بنغمه هادئة ولكن هـذا لايكفي ياولدي ، فاستغربت ان يناديني بيا ولـدي وهو لايكبرني الا سنوات ، ثم قلت بشيء من العجب: وكيف ! قال :

ان الاسـلام ليـس مجـرد ترديـد كلمـات وشعارات جوفاء انه يا ولدي عقيدة وفكرة ، قال هذا وسكت كأنه لا يريد ان يسترسل بحديث غير مطلوب منه ، والحقيقة ان هـذا السكوت فـد اعجبني منه لانني كنت امقت اولئك الذين يغتنمون أصغر فرصة للتمشدق بما لديهم من كلمات ولا براز ما يعرفون من معلومات ولكنني كنت اريد ان اعرف اكثر فانا صاحب حاجة اريد ان انجزها علي أي شكل ، ولهذا فقد استردته من الكلام قائلا :

اذن ؟ فابتسم من جديد وقال بنفس الاسلـوب الهادىء :

بودي لوساعدتك ياولدي ولكنني في الحقيقـة مسؤول عن هذا الدين الذي انتسب اليـه ، فانتـي وبصفتي عالم ديني لاأتمكن أن أعطي الاسلام على شكل قشور جوفاء ، وهنا لاأدري كيف سمحت لنفسي أن أصبح ملحاحا في ذلك اليوم لانني عدت الح علية قائلا :

انه مجرد تسهيل أمر لنا ولاأعتقد انه يضرك بشيء، والعجيب أنه لم يغضب ولم يعرض عني بـل رد علي بهدوء أيضا قائلا :

لو كان الامر خاصا بي لحاولت أن أستهل أمر كمـا ماوسعني ذلك ولكنني مسؤول عنه يا ولدي، .. ومن جديد عدت لكي ألح عليه بقولي :

انها جلسة خاصة وسوف لن نحدث بها أحدا ولن نعرضك لاي مسؤوليـة والمهم ان تنجـز لنا الامـر بسرعة ، وهنا تململ العالم الديني في جلسته وكأنه يريد أن يتغلب على مابعثه الحاحي الرخيص في نفسـه من امتعاض وفعلا فقد تغلب علي ذلك وبقي متمسكا باسلوبه اللين وقال :

انا لاأفكر بالمسؤولية أمام الناس ياولدي فـلا مسؤولية علي من هذا الباب وسكت على عادته ينتظر مني حثه على الكلام ، فقلت :

اذن فأية مسؤولية هي يا ترى ؟ قال :

انها مسؤوليتي أمام الله عز وجل وأمام هذا الدين الذي جعلت من نفسي هاديا اليه ، لعلك تتصـور ان العالم الديني يتمكن أن يتصرف كما يحلو له في الديـن والدنيا ولكن الحقيقة ان العالم الديني هو أكثر الناس مسؤولية واحرجهم موقفا دينيا ودنيويا ، فليس من السهولة بمكان حمل هذه الامانة الضخمة ، امانـــة العطاء الديني وتحويله الى الناس بالشكل الصحيح، وكانت كلمات العالم الديني تنفذ الى فكري وتـداعب عواطفي ، سيما وقد احسست بانني الححت عليـه اكثر مما يجب ولكنني (واكررها من جديد) كنت صاحب حاجه لا ارى الا قضاء حاجتي ولهـذا عـدت لاقول :

اذن ماذا تطلب منا ؟ قال بشيء من البرود :

انا لا أطلب شيئـا ولكنك انت الذي تطلـب منـي ان اشهد لك باسـلام خطيبتك وتريـد ان يـكون اسلامها مجرد ترديد كلمات قصار لا أكثر ولا أقل وانا لا اشهد باسلامها الا بعد ان تعرف عن الاسلام ما يجعلها تثق فيه ، وهنا فهمت ما يعنيه وتأثرت لموقفه واكبرت حلمه علي ولكنني مع الاسف كنت ملحاحا عليه فـي جلستي تلك فاردت ان اتكلم وان اعود لا طلب منـه تسهيل الامور فلم أكن اتصور ان في أمكان سندس ان

تفهم الاسلام أو تفهم شيئا عن الاسلام ، أو فهمت انا شخصيا عنه شيئا ياترى مع انني ابن اسرة مسلمة فكيف سوف تفهمه سندس ؟ ولكن سندس وقد عرفت انني لاأريد أن أنزل عن موقفي اللجوج فبادرتني قائلة :

انه على حق يافؤاد ، أرجوك أن لاتلحف عليه أكثر انني أكبر فيه واقعيته وحرصه على أداء الامانة بالشكل الصحيح ، والحقيقة بانني أقررتها في نفسي على ماقالت ولكنني سألتها في قلق :

اذن ماذا نصنع ؟ قالت :

قل له أن يؤدي أمانته بالشكل الصحيح ويتصرف كما يرضي ضميره ، قلت :

وانت هل سوف تفهمين شيئا عن الاسلام ؟ قالت:

ولماذا لاأفهم ؟ ألم أفهم دروس الفلسفة في الجامعة ؟ وكان العالم الديني يستمع الى حديثنا وهو يلاعب مسبحة سوداء بين أصابعه ، وكانت مسحة من الرضا أو الراحة تبدو على قسماته بعد أن عرف ان سندس قد فهمت ما يعنيه ، فقلت له بشيء من الخجل :

اذن فنحن نطلب منك اجراء ماينبغي ونحن على استعداد لدفع مايستحق، .. عند هذا فقط ظهرت على

العالم الديني علامات الاستياء وقال بشيء من الجفاء:

نحن هنا لانتاجر بالدين ولانطلب على مانؤديه جزاءا الا من الله ، ان رجل الدين كله عطاء ولايفكر يوما بالاخذ، ... واحسست بالندم ونظرت الى سندس فوجدتها تنظرالي باستنكار وتأنيب ثم همست قائلة:

لقدأسأت اليه، لقد أخطأت التصرف .. فعدت لكي أقول بتوسل :

الحقيقة انني أعتذر ان كنت قد أسأت اليك ولكنها أقاويل عديدة جعلتني أفكر على هذا الشكل ؛ فعاد يبتسم مشجعا وهو يقول ولكن الانسان لاينبغي له أن يصدق كل مايسمع حتى يتأكد بنفسه من صحة مايقال ، قلت في لهجة صادقة :

نعم فانني كنت غلطان ، والان أرجوك أن تتفضل بما تراه ، قال :

الحقيقة ياولدي أن حاجة الانسان للدين حاجة ضرورية وحتمية لاغنا له عنها ولايمكن لاي شيء عدى الدين أن يسد له تلك الحاجة ، قلت معترضا أو متسائلا :

ولماذا ؟ قال :

لان الانسان بطبيعته البشرية وبتكوينه الفطري تواق الى الراحة ، والراحة لاتتكامل بدون

سعادة اذن فهو تــواق للسعــادة أيضــا والسعــادة لاتتحقق الا اذا شملت جميع جوانب الاحساس لديه ، الفكر ، والعاطفة ، والدين هو المنهج الوحيــد الذي يتكفل بتجسيد مفهوم السعادة الفكرية والعاطفية ؛ وذلك لمافيه من مثل خلاقة وعطاءات بنائة ، وأنظمــة وقوانين تربوية صالحة ··· وهنا عــدت لاقــول :

ولكنك ذكرت أن ليس هناك مايعوض عن الدين، أو ليس في العلم وتقدمه واثاره مايعوض عنه بعد كل ما قدم من وسائل تكفلــت بتحقيــق الراحــة والنعيــم للانسان ؟ قال :

كلا ياولدي فهو حتى لو أراد أن يستعيض بالعلم عن الدين ويلتمس ضالته مــن السعــادة في رحابــه ، سوف لــن يتمكــن أن يجــد فيه ما يريد لان العلــم عــاجز عــن تحقيــق السعــادة بمفهومها الصحيح ، فهو وان وفر له عن طريــق التكنلوجيــا جميع أسباب الراحة الجسمية فجعله يقطع العالم عن طريق الطيران بساعات ، ويستمع الى الصوت البعيد عن طريق الاثير ، ويشاهد سطح القمر وهو جــالس في بيته بواسطة التلفاز ، لكنه لن يتمكن ان يحقق له السعادة الكاملة لانه لن يتمكن أن يقضي على الظلــم الذي لاتتقبله طبيعة الانسان او أن يمحو ماتكرهــه الفطرة الانسانية من نفاق ورياء ، وحقــد واعتــداء ،

واستغلال القوي للضعيف ، والتزاحم على المال والمقام، لان جميع مايقدمه العلم خاضع لعاملين يتحكمان بـه هما عامل الخير وعامل الشر ، والانسـان هـو الذي يوجه منجزات العلم ومخترعاته بالوجهة التي يريد ، فالطائرة مثلا قد تكون قاذفة قنابل مدمرة وقد تكون وسيلة نقل مريحة ، والتلفاز قد يصبح أداة اعلامية صالحة وقد يستحيل الى جهاز خلاعي مقيت ، والبارود نجده يستعمل مرة في شق الطـرق ويستعمـل مـرة أخرى في ازهاق أرواح بريئة ، وهـكذا والى اخر مافي العلم منمنجزات ، اذن فسـوف يبقـي الانسـان يصطدم مع مالايريده ولايرغب فيه وذلك يعني عدم تحقيق السعادة الكاملة والراحة الحقيقية ... قلت :

ولماذا لاتكون المثالية الاخلاقية هي العوض عـن الدين ؟ أعني لو تحقق شمول هذهالمثالية واستيعابها لمناطق الحس لدى الانسان لعمت مشاعر الانسانية وطبقت قواعد العدالة بين المجتمع ؟ قال :

ولكن هذه المثالية الخلقية لن تستطيع هي أيضا أن تحقق له السعادة أو تشيع في نفسه الرضا ، لان المثالية الاخلاقية وليدة حالات طارئة وليست قاعدة ثابتة راسخة ، فالرحمة مثلا ، وهي احدى مظاهر هذه المثاليةوهيأيضا مما تتوق اليه طبيعة الانسان هذه الرحمـة لاتتواجـد في قلـب الانسـان الا بعـد

وجـود مقدمـة ، والمقدمـة هـي أن يبصر هذا الانسان مايستدعـي الرحمـة ومايثـير لديـه دوافعها ، ومثل ذلك لو تصورنا غنيـا يعمـر قلبـه بالرحمة والرأفة وهو مجبـول على مسـاعدة الفقراء والمساكين ، هذا الغني لايتمكن أن يساعد اكثر من الفقراء الذين يراهم فقط وفقط لان هذا الفقير هـو الوحيد الذي يثير في نفسه عوامل الرحمة ، أما لو لـم يبصر بفقير فهو لن يستفيد من رحمته شيئـا ولـن يستفيد منها المجتمع أيضا ، والرحمة هنا مثال عـن الاخلاق والتعاطف الاجتماعي ٠ ولهذا ، ولكون هـذا التعاطف ليس نتيجة لقواعد ثابتة فهو لـن يـؤدي دوره الكامل في سبيل تحقيـق الراحـة والسعـادة للانسان البشري لمحدودية مجالاتـه وضيقهـا ٠٠٠ وكنت استمع اليه مقتنعا ولكن خطـر لي أن أسـأل من جديد قائلا :

ولكن مارأيك بشعور المصلحـة المتبادلـة ؟ اليـس فيه مايغنـي عن الديـن ويحقـق الراحـة للانسان ؟٠٠٠ قال :

كلا ، فان هذه المصلحة المتبادلة لايمكن لها أن تحقق السعادة والراحة أيضا ، قلت لماذا ؟ قال :

لان فيهـا ثغـرات لاتمكنهـا مـن تحقيـق السعادة والراحة وهي تعارض المصالح وتباينها بين

الافراد ، فما أكثر ماتكون مصلحة زيد قائمة على أساس من نقيضها عند عمر ، وما أكثر ماشيدت صروح على أنقاض صروح ، وعمرت بلدان نتيجة خراب بلدان ، وسعد أفراد لما شقوا به الاخرون ، اذن فان الشقاء سوف لن ينمحي بتحقيق قانون التبادل المصلحي والسعادة سوف لن تتواجد نتيجة سيادة المصلحة في المجتمع ، وسوف يبقي الانسان يواجه مالايريد ، ويجد مالا يريح ، ولهذا فهو يبقى يفتش عن الراحة التي تتوق اليها طبيعته في كل حال من الاحوال ٠٠٠ قلت :

ولكن الا تتمكن التربية الصحيحة والتنوير الفكري ، والتهذيب النفسي من تحقيق ذلك للانسان؟
قال :

ولكن هذه التربية الصحيحة التي تتصورها تحتاج هي بدورها الى مربين ، والمربين في حاجة الى مربين أيضا وهكذا الى مالا نهاية ، فالتربية لاتبدأ من الصفر ، والصفر لا يخلق أرقام ، ولهذا يبقي الانسان حاملا معه الشعور الملح بالحاجة الى الدين ، الدين الذي يحقق له جميع صور السعادة والراحة منطلقة من قواعد ثابتة لاتتغير ولا تتلون ولاتخضع للتبديل والتحريف ، عند هذا سكت العالم الديني وبقينا نحن ساكتين منجذبين

لما كنا نسمع ، وبعد لحظات من السكوت قلت :

لماذا سكت يا أستاذ أترانا قد أتعبناك أو أخذنا من وقتك أكثر مما ينبغي ؟ قال :

كلا ولكنني أردت أن أعطيكما مجالا للراحة ولابداء الرأي فيما سمعتما ، فالتفت نحو سندس فوجدتها تقول :

أطلب منه أن يستمر فأنا منسجمة معه تمام الانسجام وليس لدي أية مناقشة قلت : اذن تفضل وأكمل الحديث ياأستاذ ، قال :

والان وبعد ان عرفنا حاجة الانسان الضرورية للدين سوف نعرف بالضمن ضرورة وجود النبوات والرسالات ولكن بقي علينا أن نعرف ماهي أوصاف الدين أو ماهي أوصاف الرسالة التي تحقق الراحة للانسان ، قلت :

نعم فما هي أوصاف هذا الدين ؟ قال :

اولا : أن يكون منسجما مع الفطرة وان لايكون متنافرا مع ماجبلت عليه الطبيعة الانسانية ٠

ثانيا : ان يكون ملائما للعقل ولايحتوي على أشياء يعجز العقل عن استيعابها ٠

ثالثا : أن يكون متكفلا بتقديم القيم الصالحة

التي تبني الانسان الصالح ٠

رابعا : أن يكون متمكنا من تقديم قدوة ، أي من تقديم وسائل ايضاح تمكن من التعرف على جوهره وغاياته وتمكن من السير على منهاجه ٠ والاسلام هو الدين الذي يتكفل بتقديم كل هذهالصور والاوصاف،
الى هنا وسكت العالم ، فحاولت أن أصبر نفسي عن السؤال الى دقائق ثم سألت في لهفة وفي شيء من التحدي قائلا :

وكيف يمكن لنا أن نعرف أن الاسلام هو الدين الذي يتكفل بتقديم كل هذه الشروط والخصائص ؟
فتنحنح العالم وقال :

وهذا هو ماأريد أن أشرحه لها يا أستاذ ولكنه سوف يستوعب مقدارا طويلا من الوقت فهل لديكما المدة الكافية ؟ عند ذلك نظرت الى ساعتي وكنت قد غفلت عن متابعتها (على خلاف عادتي) طيلة مدة الحديث فوجدتها تقارب العاشرة مساءا وكان علينا أن نعود قبل ذلك بساعة لكي تصل سندس الى بيت الطالبات قبل أن تغلق الابواب ، ولهذا فقد اضطررنا ان نؤجل الحديث الى جلسة قادمة ، فحصلنا منه على موعد في اليوم القادم ، ثم قمنا لننصرف وكانت أجواء الوداع تختلف كل الاختلاف عن أجواء اللقاء ، فقد خرجنا ونحن نتشوق الرجوع بينما كنا قد دخلنا ونحن نستعجل

الخروج ، وفي منعطف الشارع أحسسنا أن هناك مـن يتتبع خطواتنا ، ولم نتمكن أن نميزه من بعد وشعرت سندس ببعض الارتباك خشية أن يـكون هو باسـم زميلها في الدراسة ومحبها المفتون ، ولكنني حاولت أن أطمأنها وابعد عن ذهنها الشـكوك ، وكان السرى في تلك الساعة من الليل مع اطلالة القمر وهدوء الطريق كفيلا لان ينسينا كل شيء حتى فضـول هذا المتتبـع الرخيص فتماسكت يدانا وثقلت خطواتنا وبدأ الصمت يحكي باستمراره أعذب حديث وينطق لطوله بأروع الكلمات ، حتى وصلنا أخيرا الى دار الطالبات ، وكانت الساعة قد تعدت الحادية عشر مساءا ، وبالطبع فقـد وجدنا الابواب مغلقة والبيت غارق في السكون والظلام، وما كان يسعنا أن نطرق الباب فهو أمر غير مسموح فيه ولهذا فقد وقفنا وراء الباب حائرين ، وكان موقفنا ذاك مما لانحسد عليه أبدا ، وبعد فترة مـن الحـيرة قلت :

ان علينا أن نقرر أمرنـا ياسندس ، فالليـل يتقدم ومن غير المعقول أن نقف هنا حتى الصباح ، ليتنا كنا قد خرجنا من هناك قبل ساعة ، فردت علي بهدوء غير متوقع قائلة :

ولكننا لـم نكن نلهو هنـاك يـا فـؤاد أتـراك نسـيت بأننـا كنا أصحـاب حاجـة وكان تحقيـق

حاجتنا يتطلب البقاء؟ ثم أنني أشعر بأن الفائدة التي حصلنا عليها تعوضنا عن صعوبة هذا الموقف ولولا خشيتي أن يكون باسم قد تتبع خطواتنا وانه سوف يسعى الى وضع العراقيل في طريقنا لما أهمني من أمر هذا الموقف المحرج شيئا يا فؤاد ، فأعجبني كلامها واحسست بأنني أشعر نفس شعورها لولا أحساسي بالمسؤولية تجاهها ولهذا فقد وافقتها على ماقالت وحاولت ان أبعد عنها المخاوف ثم عرضت عليها أن تذهب معي الى بيتي الصغير ، وصعب عليها ذلك ولكن لم يكن يسعها الرفض فتوجهنا معا الى هناك ، وعندما كنت أفتح الباب لاحظت ان هناك من كان يتتبع خطواتنا ولكن سندس لم تلاحظ شيئا من ذلك اذ لم يبدو عليها أثر للقلق ، ودخلنا البيت ، ولاول مرة ظهر الارتباك على سندس ثم قالت بشيء من الخجل :

أين سوف أنام يا فؤاد ؟ قلت :

كما تشائين ياحبيبتي ، قالت :

سوف أنام في غرفة الاستقبال لتنام أنت هنا في مكانك ، فسكت لحظة ثم قلت لها :

بل تنامين انت هنا وأنا الذي أنام في غرفة الاستقبال .

وفي صباح اليوم الثاني وبينما كنت أبحث عن سندس بين مجموع الطالبات تقدم مني أحد الطلاب الجدد وسلمني رسالة ثم اختفى بين المجموع ، فانتحيت جانبا وقد ارتابت نفسي مما فيها وفتحتها فوجدت فيها مايلي ...

(أترا كما تحسبان انني لن أتمكن من تحطيم صروح بنيتماها على أنقاض آمالي ؟ ان لدي مايمكنني من القيام بأي عمل فاما ان تنسحب عن حياتها وتتركها لي من جديد ، وأما أن أقدم على أي شيء ، نعم على أي شيء ، وأول عمل أقوم به هو اخبار أهلها بما اتفقتما عليه ، نعم اخبارهم بانها بدأت تقضي لياليها بين بيوت المشعوذين من المسلمين وبيتك الخالي وارتج علي ولم أعرف كيف اتصرف ، فتركت محاولة البحث عن سندس وجلست في زاوية منعزلة أفكر فيما يجب علي أن أفعل ، ولكن ماذا كان

عساي أن أفعل ؟ وهل كان من الممكن لي أن انسحب عن سندس وهي حياتي التى لاغنـا لي عنهـا ولكن وجودي في حياتها سوف يعرضها للبلاء وهـذا مـالا أريده لها بأي وجه من الوجوه ، فعلي أن ادبر الامـر بشكل يجنبها من كل سوء ولايدع ثغرة ينفذ منها الى أغراضه وذلك لايتم الا اذا عقدنـا زواجنـا في أقرب وقت ولهذا فقد صممت ان لاأدع سندس تعرف بأمر هذه الرسالة وان أتعجل العالم الديني في انجاز مهمته ليتم عقد زواجنا قبل أن يتخذ باسم أي اجراء ، ثـم وبعد ذلك لن يستطيع أهلها القيام بأي مبادرة مادمنا قد اجتمعنا بشكل رسمي معترف به ، وفعـلا فقـد أخفيت أمر الرسالة وكان وقت المحاضرة التالية قد بدأ منذ دقائق فالتحقت بها وانا أحاول أن أبعد عـن فكري أمر الرسالة وصاحبها ، ثم التقيت مع سندس بعد الدرس وشعرت أنها غير مرتـاحة نفسيـا لمـا صادفته من متاعب عند الصباح من المسؤولة عن دار الطالبات لتغيبها في الليل فطيبت خاطرها وقلت لها : اننا سوف نذهب عصر اليوم الى العالم وفي غد يعقد زواجنا بشكل رسمي وتنتهي بذلك متاعبنا ، فهزت رأسها بشيء من الريب وقالت :

لا أحسب أن الموضوع ينتهي اليوم يا فؤاد ،
قلت :

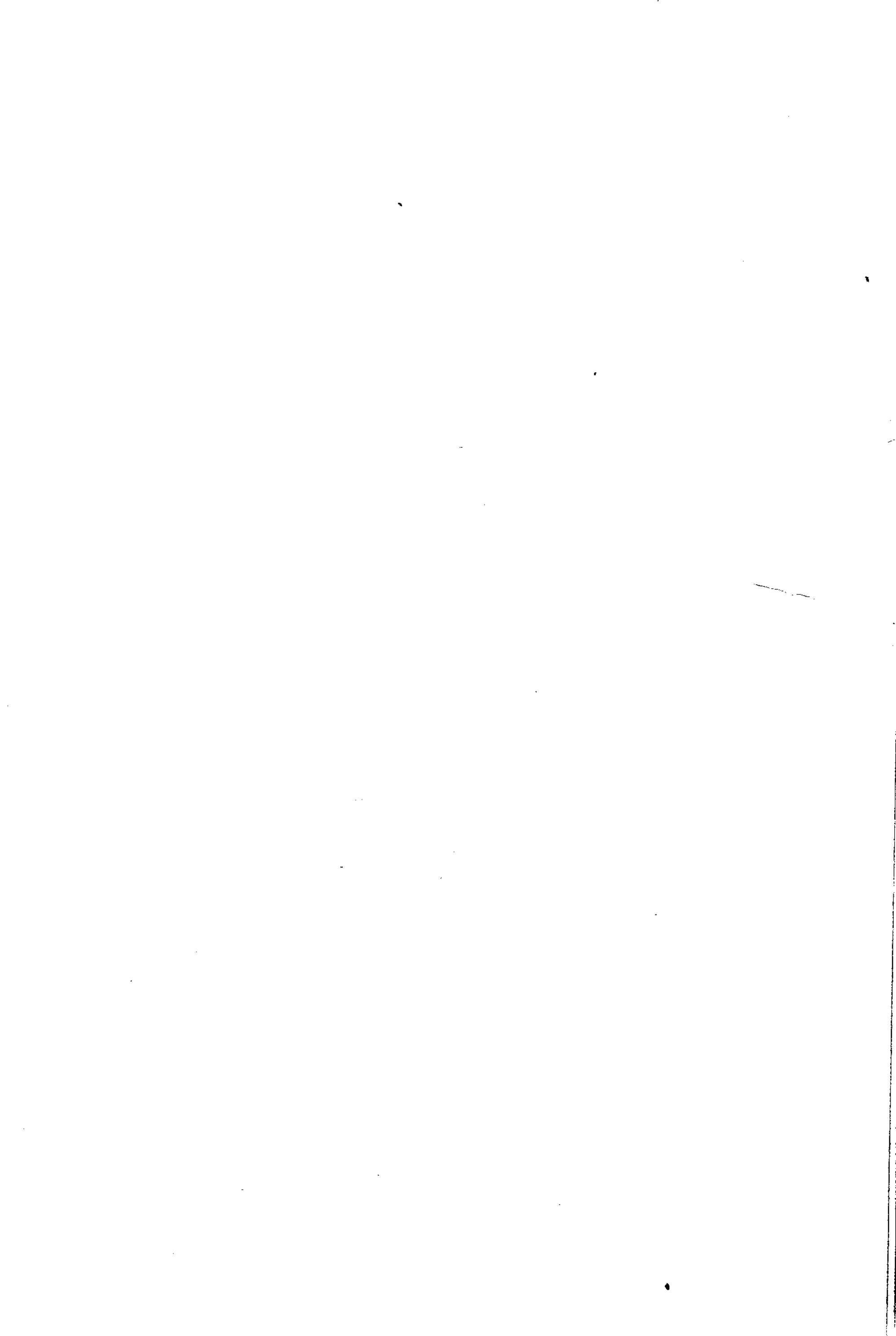
أرجو أن ينتهي وسوف أستعجله قـدر جهدي ، فقالت لي شبه مؤنبة :

كلا ، ارجوك ان لا تفعل وان لاتنسى ان حاجتك مهما كانت مستعجلة لاتخولـه الحـق بالتهـاون في مسؤوليته يافواد ،

نعم أنك على حق ، وعلى كل حـال سوف نرى ، قالت :

نعم سوف نرى ، قلت :

انني سوف امر عليك قبل الساعة الخامسـة لنكون هناك في تمام الساعة الخامسة فكوني عـلى استعداد ٠



وذهبت اليها عصرا فوجدتها تقف امام الباب وقد ارتسم على وجهها شيء من الشحوب ، وعندما احذت يدها وجدتها باردة كالثلج فرابني منها ذلك وقلت :
ماذا بـك ياحبيبتي ؟ فابتسمت وقـالت :
لا شيء قلت :

ارجوك ان تخبرينني بما لديك ، فانت لست على مايرام ، فعادت لتقـول بشـيء من الاصرار :
لاشيء ، نعم لاشيء ، فنظرت الى عينيها الصافيتين المشعتين بالنقاء والسناء ، فوجدت مسحة من الـم لونت لالائها الاخاذ فألمني ذلك وقلت :

انك تغالطين يا سندس فلماذا ؟ الست انا وانت وحدة لا تتجزأ فلماذا تنفردي دوني بتحمل الـم او سقم ، قالت :

نعم انك انت روحي المنفصلة عـني ولكنني لا اشكو شيئا ، قلت :

ولكن عينيك وشحوب وجهك يخالفان ما يقوله لسانك ، قالت :

ارجوك ان لا تعرضنا للتأخير هيا بنا لنذهب قبل ان يسبقنا الوقت ، فلم يسعني سوى ان اسير معها والافكار تتقاذفني يمنة ويسره وكان اخشى ما اخشاه ان تكون سنندس قد استلمت رسالة تهديد على غرار رسالتي ، وكنت احاول خلال الطريق ان اتحدث اليها بكل مامن حقه ان يريحها ، وفعلا فقد اندمجت معي الى حد ما وتظاهرت بالمرح والانطلاق ، ولكنني عندما نظرت الى عينيها وجدت ان مسحة الالم مازالت منطبعة على صفحة تلك العين الخضراء وطرقنا الباب ففتحت لنا على الفور وذهبنا الى الغرفة حيث كان يجلس العالم الديني وكنا في هذه المره نستشعر في تحركاتنا بشيء من الحرية افتقدناها في المرة السابقة ، واستقبلنا العالم الديني بالترحاب المصحوب بشيء من التحفظ ، وبعد ان استقر بنا الجلوس طلبت منه ان يبدأ بالحديث وقلت بشيء من الخجل باننا نود لو اسرعنا بالعوده لان تأخرنا البارحة قد سبب لنا بعض المتاعب ، فاظهر الاستاذ شيئا من الاهتمام ثم قال :

اني اسف اذا كان حديثي امس سببا في تأخيركما

فاجبته بلهجة صادقة قائلا :

كلا ، كلا ، لقد كنا مرتاحين لحديثك ولهـذا فقد غفلنا عن الوقت وعلى كل حال فان ماحدث ليس بمهم ، فابتسم وقال :

لولا التعب ماعرف الانسان معنى الراحة ياولدي، ولولا الشدة لما ميزنا نعمة الرخاء اليس كـذلك ؟ قلت :

نعم لعله كذلك ، قال انت تقول لعله وكانك غير واثق مما تقول ولكن الم يصدف لك ان شربت كأسا من الماء بعد ساعات تعب وعطش طويله ، ثم وفي مرة اخرى تشرب نفس الماء ومن نفس الكأس ولكن بعد دقائق قصار من شرب كأس روية فهل وجدت الفرق بين الكأسين لذة وطعمـا ، وثمنا وقيمة ، ثـم الم تسير في الشمس مسافة طويلة وانت تبحث لك عن ظل تستظل فيه من وهجها المحرق ثم واخيرا تجد ذلك الظل المنشود فتلوذ به وتركن اليه ، فهـل ان هـذا الظل يعني لديك نفس مايعنيه الظل المستمر الذي تعيشه في بيتـك ، وكذلك عندما يمرض الانسـان فيقعده المرض عن الحركة ويحرمه من ملاذ الحياة ثم يقدر له ان يشفى ، فهو ومما لا ريب فيه سوف يكون سعيدا بصحته اكثر مما كان سعيدا بها قبل مرضه، انه وبعد ان يشفى سوف يعرف ان الصحـة كنز لا

مثيل له فيبدأ بالحفاظ على ذلك الكنز وبالفرحة لتملكه ، وكنت استمع اليه واتصور كل دور من الادوار التي كان يتحدث عنها فإجدها مطابقة لواقع احاسيسنا فقلت له مقتنعا :

تماما كما تقول ، قال :

ولهذا نجد ان بعض المتاعب بل بعض المحن تكن من صالحنا نحن البشر وان من نغم الله علينا ان خلق في نفوسنا الاحساس بالالم والتعب والسقم والحمدلله، وهنا لم يسعني الا ان اردد معه قائلا باخلاص :

الحمد لله ، قال :

والان فلنعد لكي نبدأ من حيث انتهينا بالامس ، قلت :

نعم فكلنا اذان صاغية ، قال :

لقد سبق ان عرفناحاجة الانسان الىالدين، وعرفنا اوصاف الدين الذي هو صالح للانسان في كل مجال من مجالات الحياة وكيف انه ينبغي ان يكون منسجما مع الفطرة ، وملائما للعقل ، ومحتويا على القيم التي تنشيء الانسان الصالح وتمكنه من تقديم المثل الاعلى اي وسيلة الايضاح ، ثم قلنا ايضا ان الاسلام هو الدين الذي يتكفل بكل هذا وان اطروحته التي املاها الله تبارك وتعالى عن طريق النبوة تحتوي في

مضمونها على كل متطلبات النفس الانسانية مع انسجام كامل لمطاليبها ، فالايمان بالغيب مثلا ، وهو مما يدعو اليه الدين (الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون ، والذين يؤمنون بما انزل اليك وما انزل من قبلك وبالاخرة هم يوقنون) هذا الايمان بالغيب نجده منسجما تمام الانسجام مع الفطرة الانسانية ، فالانسان واي انسان على اختلاف ميوله وافكاره ومعتقداته يشعر دائما وابدا بان هناك قوة خارج حدود مايسمع ويرى ، وهو وبدون ان يقصد يركن الى هذا الشعور ويطمئن اليه ويلوذ به عند الشدائد والمحن ، ومثله · ذلك المسافر الذي يركب طائره تحلق به على ارتفاع عال جدا ثم وفجأة يعلن الطيار عن عطب قد اصاب الطائرة وانه عجز عن اصلاحها ولهذا فهي مهددة بالسقوط بين لحظة ولحظة ، وعلى الركاب ان يستعدوا لشد احزمة النجاة ، محاولة الهبوط من باب الطوارىء ، عند ذلك يتوجه كل الى مايتمكن عليه من محاولة اساليب النجاة ، اما الراكب الذي يعجز عن ذلك ولا يتمكن من القيام باية محاولة فماذا عسى ان يصنع وهو يجد الموت منه قاب قوسين أو أدنى؟ أتراه سوف يستسلم وييأس ! كلا ، انه سوف يبقى يأمل بالنجاة وينتظرها ولكن من اين ؟ وعن اي طريق وجميع الطرق مغلقة امامه ؟ انه سوف يشعر بالحاجة الى الايمان بالغيب

وبضرورة وجـود قوة عليا هـي فـوق قـوى العلم والتكنلوجيا ، ولذا فهو سوف يبقى ينتظر حدوث معجزة عن طريق الغيب حتى اللحظة الاخيرة ، ومثل اخر عن حاجة الانسان للايمان بالغيب هو تلك الام التي تحمل بيدها طفلها المريض بعد ان عجز الطب عن علاجه ولكنها لاتبرح تتابع انفاسه وتنتظر له طريقا للشفاء ، نعم طريقا لاتتمكن ان تعرف مصدره لان الطرق التي تعرفها قد سدت امامها ولكنها مازالت تتلفت وتنتظر ان يوجد ما يفتح امامها طريقا جديدا تحت تأثـير قوة تفوق هـذه القوى العاجزة ، هـذا هو مصـداق الحاجة الـكاملة للايمـان بالغيـب ، وانسـجام الايمان بالغيب مع الفطرة الانسانيـة ، ثم ربان السفينـة الذي يضل طريقه بـين امـواج البحر المتـلاطم ويفتقـد كل مؤشر للطريق ، هـذا الربـان التـائه ما الـذي سـوف يستشعره فـي ذلك الموقف العصيب ؟ لاشيء سوى الحاجة الى هداية من جهة عليا هي فوق امكانياته الخاصة وخارج حدود المعالم والمؤشرات ، او ليس في هذا دليل على حاجـة الانسان للايمان بالغيب وانسجام هـذا الايمان مـع طبيعة فطرته الانسانية ؟ كما جاء في معجم (لاروس) للقرن العشرين = ان الغريزة الدينية مشتركة بين كل الاجناس البشرية حتى اشدها همجية واقربها الـى الحياة الحيوانية وان الاهتمام بالمعنى الالهي وبما فوق

الطبيعة هو احدى النزعات العالمية الخالدة للانسانية=
ولهذا فنحن نجد ان هـذه النزعه ، نـزعة الرغبة الى
الايمان بالغيب موجودة حتى عند الاطفال ، فهذا الطفل
الذي يبقى يتسائل عن الاسباب وعن اسـباب هـذه
الاسباب ، انه في تسائله هذا يبحث عن مصـدر اعلى
يستشعره بفطرته البدائية دون ان يتمكن من التعبير
عن ذلك الشعور ، وما ذلك المصدر الاعلى الذي يسعى
للتوصل اليه سوى الغيب ، وبهذا نجد ان فكرة الايمان
بالغيب التي هي ضروره مـن ضرورات الدين تنسجم
تمام الانسجام مع فطرة الانسان وهذا الايمان بالغيب
الذي هو غريزة فطرية لدى الانسان ليس الا صورةعن
الايمان بالله ، وضرورة هذا يقتضي ضرورة ذاك مـع
اختلاف وضوح الصـورة وشحوبهـا ، ثم ومن امثله
انسجام نظريات هذا الدين مع الفطره هو وحدة هذا
الكون واتحاده وارتبـاطه ، وهنـا نظرت الى ساعتي
خشية إن يسبقنا الوقت وحينما وجدت ان لدينا قليلا
منه سألته قائلا :

ما الذي تعنيه يا استاذ في فكرة الاتحاد والارتباط
في الكون ، قال :

أن الحديث عن ذلك قد يطول يا ولدي ويبدو انك
تتعجل العودة ولهـذا فمن الممكن تأجيله الى جلسـة
قادمة ، فنظرت الى سندس اسألها رأيها في التأجيل ،
فقالت :

نعم ان ذلك هو الاصلح لكي لانقع بما وقعنا فيه امس سيما بعد ان ٠ وسكتت ، فقلت لها :

بعد ان ماذا ؟ قالت :

لاشيء وليس هذا وقت الحديث ولكن حاول ان تأخذ منه موعدا على ان لايكون قبل يوم الاربعاء القادم لانني سوف اكون خلال هذه الايام مشغولة بالامتحان، قلت لها :

ان اليوم هو الاحد وهذا يعني ان يكون الموعد بعد ثلاثة ايام ، قالت :

نعم وهو كذلك ، فاستدرت نحو الاستاذ وطلبت منه ذلك فقال :

يؤسفني ان لا اتمكن من اعطاء موعد لكما في يوم الاربعاء لان لدي مواعيد مسبقة وساعات فراغي فيه محجوزة ، قلت :

اذن في يوم الخميس ، فابتسم بلطف وقال :

وكذلك الخميس والجمعة يا ولدي فأنه عطلة آخر الاسبوع بالنسبة لنا وعلينا ان نتفرغ فيه لقضاء حوائج المؤمنين ورد اسألتهم وحل مشاكلهم ولهذا فان موعدنا سوف يكون عصر يوم السبت الساعة الرابعة من بعد الظهر ، فتصورت كل هذه الايام وهي تمر دون ان نحصل على النتيجة المطلوبة فشق علي

ذلك ولهذا قلت له مستعطفا :

ولكن الا يمكنك ان تتفرغ لنا ولو ساعة او ساعتين ؟ قال بودي لو كنت أتمكن من ذلك ولكن ما دامت أوقاتي مشغولة بين دروس وعمل خلال هذه الايام فكيف يسعني أن أحدد لكما موعدا فيها ؟ قلت:

ألا يمكن تأجيل بعض الدروس ؟ فابتسم من جديد وقال :

أراك قد اقتنعت قبل قليل أن وجود الامتحان سببا كافيا للتأجيل لاهميته بالنسبة لها ، فلماذا لا تقتنع ان الدروس التي لدي مهمة عندي بشكل يوجب التفرغ لها ؟ ،

فافحمني جوابه واخجلني في الوقت نفسه فسكت برهة وأنا لاأعرف كيف أجيب ثم قلت متلعثما :

الحقيقة انني لم أكن أخمن أنك مازلت مشغول في الدراسة ، قال :

ولكن كلمة الدروس هي أعم من الدراسة والتدريس ثم أن العلم بحر لايمكن النفاذ الى أعماقه الا بعد جهد متواصل وطويل ، وقد يواكب ذلك الجهد عمر الانسان كله ، لانه كلما انفتح له باب من العلم تطلع الى أبواب وأبواب ، قلت :

آه وهل انتم أيضا كذلك ؟ فضحك ضحكة

قصيرة ثم قال :

وهل نحن فئة خاصة تختلف عن الاخرين ياولدي ؟ ان أحدنا كأي باحث من الباحثين يبحث في علوم الدين وما يدور حول تلك العلوم وما يمت اليها بصلة أو يؤثر عليها من قريب أو بعيد ، ثم يبقى دائبا في بحثه وتنقيبه يفتش عن الفكرة البنائة والرأي العملاق مهما طال به العمر ، قلت :

اذن فانكم لاتكتفون بدراسة الحلال والحرام فقط ؟ قال :

ان معرفة الحلال والحرام هي الجوهر الرئيسي في دراستنا ولكن هذه المعرفة بمفهومها الصحيح وبأبعادها الحقيقية تتطلب معرفة العديد من العلوم الاخرى قلت :

أرجو أن أعرف ماذا تعني من مفهوم الحلال والحرام الحقيقي وأبعاده الصحيحة ؟ قال :

ان معرفة الحلال والحرام تتطلب أولا معرفة العديد من العلوم التي تؤدي الى صحه تلك المعرفة مثل علم المنطق ، وعلم الاصول ، وعلم الكلام ، وعلم الحديث هذا بالاضافة الى التمكن من معرفة أسباب التحريم والتحليل ومصادرهما وغاياتهما لان المعرفة المجردة لاتكفي للعطاء الموجه ولهذا فان على كل من

يجعل نفسه في مصاف الهادين أن يعرف مسبقا أسباب الهداية وحقيقة الهدى والهداة ومن ثم يعرف الله عز وجل الذي هو مصدر الهداية في الوجود ومعرفة كل هذا ليس بالشيء السهل اليسير فهو يتطلب الكثير من الجهد والعناء ويتطلب الطويل من البحث والاستقصاء ، • قلت :

ولكنني لم أكن أتصور هذا ياأستاذ فقد كنت أحسب ان العالم الديني هو أخف الناس مؤنة وأنعمهم عيشا وأقلهم مسؤولية ، فابتسم الاستاذ ابتسامة جريحة وقال :

وهذا مما يؤسف له ياولدي لان هذا التصور كفيل بايجاد هوة بين العالم الديني والشاب المثقف ، بينما نجد أن كلا منهما محتاج للثاني في سبيل اكمال رسالته في الحياة ، ولعل المستقبل يكشف لك ماتجهله من هذا الباب ؟ قلت :

نعم أرجو ذلك من صميم قلبي ، قال الاستاذ :

ومن أجل أن لانخسر الاستفادة من هذه الايام اليكما هذا الكتاب لتقرآ فيه • ثم قدم لنا كتاب ـ الدين ـ لمحمد عبدالله دراز وكتاب ـ نشأة الدين ـ لعلي النشار •

مرت الايام بطيئة وثقيلة ونحن بين اللهفــة لان نسمع عن الاستاذ من جديد ، وبين الخوف أن يسبقنا الوقت قبل تكامل خطتنا بالشكل المطلــوب وحاولنــا خلال تلك الايام أن نقرأ الكتاب الذي أعطاه الاستاذ لنا وفي اليوم الذي يسبق موعدنا مع الاستــاذ اســتلمت رسالة تهديد جديدة من باسم وكانت عبارتها أقسى من الرسالة الاولى ، ولا أنكر بأنها ارقتني في ليلتي تلــك وخشيت أن تكون لها عواقب وخيمة حقيقية ،وفي الصباح وعندما لقيت سندس في الجامعة جبنت عن اخبارها بأمر الرسالة خشية أن يقلقها ذلك كما أقلقتني سيما وقد وجدتها متلهفة الى موعدنا عصر ذلك اليوم ، وقد عادت الى وضعها الطبيعي من الناحية النفسية فخمنت أن كآبتها السابقة كانت وليدة حالة طارئة وليــس لها أي ارتباط مع تهديد باسم ، اذن فلماذا أثير أمامها مايكدرها ولماذا ألون أفكارها بهذه الضلال القاتمة ، وحان العصر فذهبنا الى بيت الاستاذ ، ولكن فوجئنا

اذ وجدناه منحرف الصحة طريح الفراش ، فجلسنـا دقائق ثم رأينا أن علينا أن ننصرف لكي لانثقل عليه ولكنه أبى علينا ذلك وقال : انه على استعداد للحديث، فقلت له باننا لانرضى أن تكون فائدتنا على حساب صحته ، فابتسم قائلا :

ان صحتي هي من أجل فائدتكم ياولدي ، قـال هذا ثم اعتدل في جلسته وبدأ بالحديث قائلا :

لقد انتهى بنا الحديث في جلستنا السابقـة الى ذكر ترابط الموجودات ووحدتها وشعـور الانسـان تجاه احساسه بهذا الترابط وبهذه الوحدة ، فاعلما ياولدي أن الانسان عندما يحس انه جزء لايتجزأ من هذا الوجود الرحب ، نعم جزء قدشد الىالاجزاءالباقية كما شدت الاجزاء الباقية اليه ، هذا الشعور، شعوره بالانسجام الكامل معماحوله يجعله يستشعر السعادة نتيجة احساسه بأنه مسنود من قوة هائلة هيأت له كل هذه الاسباب وشدته الى جميع هذه الموجـودات كما شدت جميع هذه الموجودات اليه ، ولهذا فهو لن يشعر بالغربة ولن يحس الضيعة والوحدة مادام قـد عرف حقيقة وأسباب الاتحاد في المخلوقات التي حوله، وعلى العكس منه ذلك الذي لايعلم لماذا جاء ؟ ولماذا هو موجود ؟ وما هي أبعاد علاقته مع هذا الوجودالواسع الذي لايكاد يساوي هو ذرة من ذراته ، انه عندمـا

يعلم مثلا أن هـذه الشمس الهائلة بـكل مافيها من عظمة وشموخ انما هي مسخرة للحفاظ على مصلحته، وهو عندما يعرف أن هذا الثبات الدائـم في مستوى حرارتها البالغ (اثنى عشر ألف درجـة فهرنهايت) انما كان من أجل الحفاظ على الحياة التي يحياها هو وسط هذا الكوكب الحي ، وهو عندما يجد ان هـذا البعد الذي يفصل أرضه عن الشمس والذي يقـدر بما يقرب من (٠٠٠ ، ٠٠٠، ٩٣) ميلا ، لـم ولـن يدخل عليه أي زيادة أو نقصان حرصا على سلامة حياة كرته الارضية التي يعيش عليها لانه لو نقص هـذا البعد بمقدار النصف لاحترق جميع ماعلى هذه الارض من شجر أو مدر ، ولو تصاعد هذا الفاصل الذي بين الشمس والارض فصار ضعف ماعليه الان لكانت البرودة التي تنتج عن ذلك كفيلة بالقضاء على الحياة في الارض ، انه حينما يعرف هذا يشعـر بالسعـادة لتحسس أهمية وجوده في الحياة ، وكذلك حينما يجد أن هذه الارض التي تدور حول محورها مرة في كـل أربع وعشرين ساعة ، ان دورتها العظيمة هذه انمـا صممت حصيصا بشكل يمكنه من الحياة ، لانه لـو فرض أن هذه السرعة كانت قد انخفضت الى مائتـي ميل في الساعة لكان معنى ذلك هو أن يطول الليـل ويطول النهار عشر مرات بالنسبة لما هو عليه الان ، فما الذي كان ينتج عن ذلك ؟

الناتج هو أن تحرق حرارة الشمس كل شيء فوق سطح الارض ، حتى ولو تبقي شيء لم يحترق فان برودة الليل الطويلة كفيلة بالقضاء عليه اذن فان توقيت حركة الارض وتحديد زمان دورتها مانظم بهذا الشكل الا من أجل الانسان ، فما هو شعور الانسان تجاه معرفته لجميع مقدمات الحياة الجبارة التي وضعت من أجله ؟

ثم ، البحار ، هذه البحار التي تملا ثلاثة أرباع الكرة الارضية ، لو حدث وكانت أعمق مما هي عليه الان ولو بضعة أقدام فماذا كان سيحدث ؟

لانجذب ثاني أوكسيد الكاربون والاوكسجين نتيجة امتصاص الماء لهما ، وماذا يعني انجذاب ثاني أوكسيد الكاربون والاوكسجين ؟

انه يعني الاختناق للانسان والحيوان ، اذن فان هذه البحار الجبارة حدد عمقها من أجله هو ومن أجل سلامة وجوده في الحياة ، ثم هذه الارض التي يعيش عليها الانسان ولايكاد يحس بها سوى أنها أرض حجرية أو ترابية صلبة ولكنه عندما يدرس أبعادها ويتابع خطوطها الجغرافية يأخذه العجب لسعتها وقوة تحملها لمايرسو عليهامنجبال شامخات وهضاب راكنات ولصمودها أمام جميع ما أمتلات به رقعتها من ماء البحار والانهار ، ثم ماذا ؟ لاشيء سوى

أن ينصرف عن هذا التفكير الى سواه وقد امتلات نفسه بالهيبة والاعظام ، فكيف به اذا علم ان هذه الارض التي بهرته بعظمتها وصمود قشرتها قد صممت قشرتها هذه خصيصا بشكل يلائم مصلحته هو ، فهو محتاج الى نسبة معينة من الاوكسجين الموجود في الهواء فلو كانت قشرة الارض أكثر سمكا بمقدار عشرة أقدام مثلا لانعدم الاوكسجين من الهواء أد أن القشرة الارضية كانت ستمتصه كله ، ومثلا اخر ، عندما يرفع الانسان رأسه الى أعلى ماذا سوف يرى ؟

لاشيء سوى الغلاف الهوائي الذي يحيط بالارض فتسحره الزرقة الهادئة التي يعكسها هذا الغلاف في النهار وتبهره الروعة المنيرة التي تبرز من خلال الكواكب في الليل فكيف به لو علم أن كثافة هذا الغلاف الهوائي حددت طبقا لمصلحته هو كانسان يراد له أن يعيش فلو كان الغلاف الهوائي للارض ألطف مما هو عليه الان لاحرقت النيازك كل يوم غلاف الارض الخارجي ، ولسقطت على مختلف بقاع الارض واحرقتها لان هذه النيازك تواصل رحلتها بسرعة اربعين ميلا في الثانية ولهذا ومن نتائج هذه السرعة الهائلة سوف يحترق كل شيء يمكن احتراقه على الارض حتى تصبح الارض هشيما في وقت ليس

ببعيد ٠٠ والهواء ونسب أجزاء الهواء المحددة التي لاتختلف بأي حال من الاحوال لو علم الانسان أن هذه الاجزاء انما وزعت بهذه النسب الثابتة من أجله هو ومن أجل البقاء عليه وكذلك لو نظر الى هذا القمر المنير في عليائه وعرف أن بعده وقربه انما جاء لمصلحة الانسان ، لمصلحته هو فان بعد القمر عن الارض يبلغ حوالي (٢٤٠) ألف ميل وهذا هو الحد المناسب للابقاء على الحياة الطبيعية فوق الكرة الارضية وذلك لما

يعرف من تأثيره على حركة المد في الماء ولكن لو فرضنا أن هذا البعد كان بمقدار (٥٠) ألف ميل مثلا لتصاعدت نسبة المد ، تصاعدا هائلا بشكل يغمر فيه الماء الدنيا كلها ، والهواء ، وماتحمله النسب التي فيه من أوكسجين ، ونيتروجين ، وثاني أوكسيد الكاربون ، ماتحمله هذه النسب الدقيقة من مصلحة لاستمرار حياة الانسان بشكل لو زادت فيه أو قلت لتعذرت الحياة ، وشيء اخر يقدمه الهواء للانسان ألا وهو هذا النور المنتشر في الكون نور الشمس المشرق الذي يغمرنا منذ الصباح حتى المساء وهذه الزرقة الساحرة التي نلاحظها في أعالي الجو فلولا الهواء أو لولا جزيئات الهواء لرأينا الشمس كالقرص الابيض في صحيفة سوداء لاأكثر ولا أقل ، ولكن اشعاع الشمس حينما يصطدم مع جزيئات الهواء

تبعثره هذه الجزيئات وتشتته في الكون فينتشر على هذا الشكل الذي نراه ، ثم كان من حكمة الخالق أن يكون للشمس موجات مختلفة الالـوان وان يـكون اللون الازرق منها أقصر موجة من الالـوان الاخرى ، اذن فهو أكثر تشتتا بالهواء من الالوان الاخرى، ومـن أجل هذا ظهرت السماء لنا نهارا وفي الصحو زرقـاء تبعث في النفس الراحة والاطمئنان ، ٠٠ لـو علـم الانسان هذا وعلم غيرهذا مماأعد خصيصا لاستقباله وصيانة وجوده لعرف انه جزء لايتجزأ من هذا الكون الرحيب ٠٠٠ عند هذا سكت الاستاذ وكأنه يريد أن يرتاح قليلا بعد أن ظهر عليه التعـب ، وعـز علينـا سكوته لاننا كنا نتـابع مايقول مـن حقـائق طالمـا عرفناها من قبل معرفة باهتة وقد أبرزها لنا داخـل اطار جديد جذاب ولم تمض دقائق حتى عاد يتحدث من جديد قائلا :

والان ، الا ترون مدى انسجام هذا الواقع مـع فطرة الانسان الاجتماعية التي تأبى لـه الانعـزال ثم ، ان ايجاد هذه الغرائز في نفس الانسان ، (غريزة الايمان بالغيب وغريزة النظـرة الوحدويـة) هـذه الغرائز لم توجد بدون هدف فهما بوجودهما يشكلان السبب الرئيس الذي يقود الانسان الى تتبع الحقائق واستقصاء الواقع ، فهذه الغريـزة التي تدعـو الى

الايمان بالغيب تفرض على الانسان التطلع الى أسرار الغيب ومعرفة ماوراء الغيب ، وهـذه الغريـزة التي تفرض على الانسان الرغبة في الشعـور الوحـدوي وتدعوه الى نبذ مشاعر العزلة هذه الغريزة تجره لان يعرف ارتباطه مع الكون بكل أبعاد ذلك الارتبـاط ، وبما أن جميع مافي الكون قد وضع لاجله اليس مـن حقه أن يعرف الواضع والسبب في ذلك لكي يـذكر فيشكر ؟ ثم أنها تدفعه بالضمن الى تتبع أبعاد هـذا الاتحاد والتضامن ، ودراسة النظم التي قامت عليـه تلك الابعاد ، ثم أنه أيضا عندما يتعرف على دقة تلك النظم وانسجامها ، وترابطها يقف ليتسائل :

اذن فمادام ان لكل شيء نظام ، ومادام هذا الوجـود الرحب بما فيه من ذره صغيرة الى نجمة كبيرة يخضع لنظام دقيق لا يتحول ولا يتبدل ومادام الانسان هـو افضل المخلوقات واجدرها بالوصول الى رحلة الكمال، فهل من المعقول ان يترك الانسان هو وحده دون جميع هذه المخلوقات بدون نظام ؟ هل يمكن ان تنظم حياة النملة والنحلة ولا تنظم حياة الانسان ؟ وعندما يصل في افكاره الى هنا يعود ليتسائل قائلا :

ولكن ماهـو النظـام الكامـل الصـالح لهـذا الانسان ؟

والان هل لي ان اسألكما هل طالعتما الكتاب

الذي اعطيتكما اياه ؟ فاجبناه بصوت واحد قائلين :
نعم لقد استقصيناه كله ، قال :

اذن هاكما هـذا الكتاب فهـو يعطيكما شرحا واسعا عما ذكرته لكما الان . ثم اعطانا كتابا جديدا وسكت لحظات قال بعدها :

لقد اعطيتكما ياولدي صوره مختصره عن هـذا الجانب ، اما ماسبق ان ذكرتـه لكم من ضرورة ان يكون الدين الـذي يؤخذ به ملائما للفكر وغير متنافر للعقل مهما تقدم به العلم والرقي فان الاسلام هـو الدين الوحيد الذي لا توجد فيه ثغره واحـده يمكن ان ينفذ منها مايمكن ادعاء منافرته للعقل ، ويمكننا ان نستدل على ذلك بعدة نقاط ، وكان صوت الاستاذ قد أخذ يتهدج وقد ضايقه نوبة من السعال لاحظـت انه يحـاول التغلب عليها للاسترسـال بالحـديث ، فشعرت بعطف بالغ نحوه ونسيت كل مايدعونـي للتعجل في انهاء الموضوع ، فبادرته قائلا :

ارجوك ان ترتاح يا استاذ ، ان التعب يبدو واضحا عليك ، نحن على استعداد لان ننتظر بضعة ايام حتى تشفى فابتسم بلطف وقال :
ولكنك كنت تتعجل الامر قبل ايام ؟ قلت :
نعم انني أرغب في التعجيل ولكن ليس على حساب صحتك يااستاذ ، قال :

ولكن دور الانفلونزا كما تعلم غير محدد الابعاد فكيف يمكنني ان احدد لكما موعـدا قادما يـا ترى ؟ قلت :

ابنني سوف امر عليك للاطمئنان على صحتـك بعد يومين او ثلاثة ، قال :

اذن سوف نحدد الموعد حسب وضعي الصحي بعد ثلاثة ايام ان شاء الله ويمكنكما خلال هذه المـدة مطالعة هذا الكتاب ثم قدم لنا كتابا باسم ـ قضية الالوهية ـ لعبد الكريم الخطيب .

عدت الى البيت مبكرا لان سـندس كانت عـلى موعد مع احدى صديقاتها للذهاب الى الخياطة وقـد حاولت ان استغل ساعات فراغي في مطالعة الكتاب ، والحقيقة انني انسجمت مع الكتاب واندمجت مـع مافيه بجميع مشاعري واخذت اسـجل في مسجلتي الصغيرة بعض الحقائق التي استفدتها منه ٠٠ لكن وحوالي الساعـة العاشرة مسـاء رن جرس البـاب فاستغربت ذلك ولم يكن لدي موعد مسبق مع اي صديق اما الصديقات فقد كنت قد قطعت عـلاقتي معهن بشكل نهائي منذ عرفت سندس ، وخمنت انه صديق متطفل ، فعز علي ان يقطع سلسلة افكاري فذهبت لكي افتح الباب وانـا احمـل معي مسجلتي الصغيرة وكتابي ليعرف القادم ان لـدي مايشغلني عنه ، وما ان فتحت الباب حتى طالعني وجه فتاة في مقتبل الشباب تراجعت خطوات عند ما رأتني وكأنها فوجئت من رؤيتي ثم قالت بصوت متهدج :

آه أراني قد اخطأت الباب في هذه المرة ايضا ، قلت لها :

اي باب كنت تطلبين ؟ قالت وهي ترتجف :

انني غريبة عن هذا البلد وقد وصلت لتوي اليه ولدي بعض الاقارب فيه وقد اعطوني العنوان مغايرا على مايبدو فان بابك هو اخر باب طرقته في هذا الشارع دون ان احصل على من اريد ، قالت هذا وقد انطبعت على وجهها علامات الذعر الشديد فالمني حالها وودت مساعدتها بشكل من الاشكال فقلت لها :

اعطني العنوان لكي افتش أنا عنهم ، قالت :

انهم اعطوني اسم نفس هذا الشارع مع رقم الدار التي امام دارك ولم اجد في تلك الدار سوى عائلة غريبة ، فاستغربت الامر وقلت :

الاتعرفين احدا سواهم هنا لكي اخذك اليهم ؟ فانخرطت في البكاء وهي تقول :

كلا فقد اتيت بمهمة خاصة تتعلق بهم ، ولا انكر ان الموقف كان محيرا بالنسبة لي ولهذا فقد بقيت ساكنا لا اعرف ماذا علي ان اقول ، فقالت وهي تبكي :

يبدو ان علي ان ابقى اتجول في الشوارع حتى

الصباح ؟ وهنا نظرت اليها في تمعن فوجدتها جميلة وصغيرة ، فعز علي ان ادعها لرحمة الليل ووحوشه ، ومن ناحية ثانية فقد صعب علي ان ادخلها البيت وليس فيه احد سواي ، فترددت برهة ثم خطر لي خاطر فقلت لها :

انني وحيد في هذا البيت ولهذا فلا يسعني الا ان ادعوك للدخول والمبيت فيه على ان اخرج انا عنه حتى الصباح ، فظهرت عليها بعض علامات الهدوء ثم قالت :

ولكن اين سوف تذهب انت ؟ اجبتها :

ان ذلك لايهم ، المهم ان تأمني انت في ليلتك هذه حتى الصباح قالت :

ولكن كيف ارضى لك بهذا ؟ قلت :!

لا عليك ، انني رجل ويسعني ان انام حيثما اتفق ، قالت :

ان هذا كثير ، وكانت طيلة هذه الفترة تقف على عتبة الباب الخارجي وانا اقف داخل البيت ، ولما وجدتها تتمنع عن امر لامناص منه خرجت الى مأوراء الباب محاولا اقناعها بالدخول وانا اقول :

هذا الباب مفتوح فادخلي ولن اعود الى البيت حتي الصباح ، وهنا لمح امامي برق خاطف من بعيد

لم اتمكن ان اعـرف مصـدره فتلفت باحثا عنه ثـم سألتها :

هل لاحظت نورا قد برق من ورائنا ؟ فتلفتت هي بدورها وقالت :

اه نعم لعله ضوء سيارة من بعيد ، فلم احاول

ان ابحـث عن الموضـوع اكثر ، فقالت بشيء مـن الارتباك :

ولكنني اخاف ان اقضي الليل بمفردي هنـا ، قلت :

اذن ؟ قالت :

اذن انام انا في الصالون وتنام انت في غرفتـك قلت :

كلا بل تنامين انت في الغرفة وانام انا في الصالون ، دخلنا البيت وقدتها الى غرفة منامي وقلت لها وانـا اغلق الباب ورائها :

سوف انام انا في الصالة ولن افتح عليك الباب حتى الصباح فكوني مطمئنة ، قالت :

اشكرك يا اخي ويؤسفني ان لا اعرف اسمك ، فاجبتها ببرود قائلا :

لا حاجة لان تعرفي اسمي او اعرف اسمك ، ثم توجهت الى الصالون وهناك انتبهت الى ان المسجلة كانت لاتزال تعمل وتسجل فحمدت الله ان الفتاة لم تلتفت الى وجودها او الى كونها تشتغل وتسجل، وكان الشريط يكاد ان ينتهي فاغلقتها واستسلمت للنوم ولكن فكره صغيره اقلقتني وهي ان الهاتف كان في غرفة المنام فماذا لو طلبني احد ؟ ثم عدت فابعدت هذه الفكرة عن ذهني فليس من المحتمل ان يطلبني احد في منتصف هذا الليل وهي سوف تغادر الغرفه عند الصباح واستيقظت في الساعة السابعة صباحا وخرجت من الصالون فوجدتها واقفة امام باب الغرفة وكأنها تنتظرني ثم قالت :

لست ادري كيف اشكرك وها انا ذاهبة ولكنني ارجوك ان لا تحدث احدا بامري لان ذلك سوف يجلب لي المتاعب ، فضحكت في شيء من السخرية ثم قلت :

وكيف لي ان اتحدث عنك وانا لااعرف عنك حتى اسمك ؟ قالت :

اه نعم انت لاتعرف اسمي ان اسمي هو فدوى ناجي ، قلت بشيء من اللا مبالاة :

تشرفنا ، وبعدها ودعتني وخرجت ، فدخلت غرفتي فوجدت اعقاب سكاير اجنبية ولاحظت صورة سندس تحركت من مكانها فابتسمت وقلت لنفسي :

ان مجرد رؤيتها لهذه الصورة كفيلة ببعث الاطمئنان الى نفسها وعلمها بانني لا اعبأ بمثلها مع وجود مثل صاحبة هذه الصورة ، ثم دخلت الحمام لاغسل فلاحظت انها قد دخلت الحمام ايضا لان باب الحمام كانت مغلقة باحكام في الوقت الذي لم يكن من عادتي ان احكم اغلاق الباب لصعوبة فتحه بعد ذلك ، واستغربت منها هذا التجوال ولكنني اوعزته الى الفضول ثم لبست ملابسي وتوجهت نحو الجامعة ، وهناك رأيت سندس تقف بمفردها في ناحية من الساحة الامامية فتوجهت نحوها كعادتي في كل صباح ولكنني فوجئت بانها ردت علي بشيء من الفتور ، وفوجئت ايضا بانها تجاهلت يدي التي مددتها اليها والتي طالما احتضنت يدها دقائق طويلة في كل صباح ، وحاولت ان اغالب نفسي فسألتها قائلا :

ماذا بك يا سندس هل انت مريضة ؟ فسكتت لحظة ثم قالت :

مريضة ، كلا ، انني لست مريضة ، فقلت :

اذن ماذا بك ؟ فبقيت ساكتة ولم تجب ، فعدت اقول :

هل سهرت البارحة مع المذاكره فاتعبك السهر؟ وهنا نظرت الي نظرة طويلة وعميقة وحزينة ثم قالت بصوت مبحوح :

وانت هل سهرت البارحة للمذاكرة ؟ والحقيقة بانني في تلك اللحظة كنت قد نسيت كـل شيء عن ليلـة البارحة تلك ولهذا فقد ترددت قليلا ثم قلت :
كلا لقد نمت حتى الصباح ، فابتسمت هي في مرارة وقالت بشيء من التهكم :

لا اشك ان نومتك كانت مريحة جــدا ، وهنـا تذكرت نومتي في الصالون وكيف انها لم تكن مريحة ابدا واردت ان احدثها عن ذلك ولكن وعـدي الـذي قطعته لفدوى منعني من الحديث ، ولهذا فقـد تلكأ لساني وانا اقول :

كلا انها لم تكن مريحة جـدا ، فعـادت تنظر الي تلك النظرة العميقة الحزينة ثم قالت :

اتمنى لك نوما مريحا اكثر في المستقبل !، قالت هذا واستدارت متوجهة نحو مدخل الجامعة فمشيت بجانبها وانا افكر فيما تعنيه كلماتها ولكنها تجاهلت وجودي حتى دخلنا الصف ، وبعد انتهاء الدوام مباشرة طلبت منها موعدا للعصر فقالت انها مشغولة وتركتني نهبا للحيرة وانصرفت بخطوات متعبة ...

وفي اليوم الثاني توجهت للجامعة فافتقدت وجود سندس هناك وعرفت أنها لم تداوم في ذلك اليوم فقلقت من اجلها واتصلت بها تليفونيا حال وصولي الى البيت

فردت علي المشرفة فطلبت منها ان اتحدث مع سندس، فذهبت ثم عادت لتقول انها مشغولة ! قلت :

هل هي مريضة ؟ قالت :

كلا انها بخير ، ثم انهت المكالمة ، فاستغربت ذلك وصممت ان امر عليها عصرا وبقيت اعد الساعات بانتظار العصر وانا بين الحيرة والقلق حتى حان العصر ، فذهبت اليها وطلبت من المساعدة ان تستدعيها فذهبت فترة ثم عادت لتقول :

انها مشغولة ! فهالني هذا الجواب وعدت اسألها هل هي مريضة ؟ قالت :

كلا انها بخير ولم يسعني ان استسلم بهذه السرعة فقلت لها متوسلا :

ارجوك ان تعودي اليها لتقولي لها بانني اريدها لامر هام ومستعجل فذهبت وبقيت انتظر على احر من الجمر ولكنها عادت لتقول :

لقد قالت انها مشغولة ولا تستطيع مقابلتك الان ، قلت :

الا يمكن ان اذهب انا اليها ، قالت بشيء مـن الحدة :

انت تذهب اليها؟ اذهب رحم الله اباك ولا تسبب لنا فضيحة ياشاب ، وهنا لم يسعني الا ان اعود الى البيت وانا في اشد حال وأقسى وضع ·



كانت ساعات الليل بطيئة ومريره لم تذق عيناي فيها النوم ، واني لي ان انام ؟ وحبيبتي غاضبة علي دون أن اعرف السبب. وفي الصباح تعجلت الذهاب الى الجامعة على امل ان القاها هناك وفعلا فقد وجدتها تقف بين مجموعة من الطالبات وقد على وجهها المشرق شيئا من الشحوب فحاولت ان اتقدم نحوها محييا ولكنني جبنت عن ذلك مادامت وسط هذه المجموعة وبقيت اتابعها حتى وجدتها تسير بمفردها فاسرعت ورائها وناديتها بصوت متهدج :

سندس ، سندس ، وكانها ارادت ان تلتفت ثم عدلت عن الالتفات واسرعت في خطواتها فلحقت بها ووصلت اليها وانا اقول :

سندس ماذا بك ياحبيبتي ؟ فوقفت ونظرت الي نفس نظرتها العميقة الحزينة ثم هزت رأسها وقالت:

لاشيء ، قلت هل انت غاضبة علي ؟ فترددت لحظة ثم قالت بمرارة :

نعم ، فهالني الامر ، فانني قد اتصور اي شيء ولكن ان تكون سندس غاضبة علي فهو فوق ما أتصوره وأتحمله ولهذا فقد ارتج علي لحظات وثم اعرف بماذا أجيب ، وكانت سندس قد تركتني خلال هذه اللحظات بعد أن القت علي نظرة عتاب عميقة أخرى ، فتهاويت على أقرب مقعد .ولا اريد أن أقول بأنني رحت في بكاء حار لان حالي كان يجل عن البكاء، ثم انتبهت على نفسي بعد فترة فوجدت ان علي ان أعود الى البيت لان حالي لم يكن يساعد على دخول المحاضرات ، وفعلا فقد توجهت نحو البيت وهناك رحت أفكر وافكر دون أن أصل الى السبب الذي أغضب سندس علي ثم خطر لي أن مبيت فدوى عندي هو الذي أغضبها ولكنني عدت فاستبعدت ذلك لانها لاتعلم بالموضوع وكيف لها ان تعلم ، ثم خطر لي أن أحدثها بالامر ولكنني تذكرت العهد الذي قطعته لفدوى بالكتمان ، ثم أن سندس لم تكن ممن يشك في حبي، ولاريب انها كانت ستفاتحني بالامر مستفسرة قبل ان تعلن ثورتها علي بهذا الشكل ، وقضيت ليلتي تلك لم يغمض لي خلالها جفن ولم يهدأ لي فكر ، وفي الصباح خرجت من البيت مبكرا

وذهبت لانتظرها عند مدخل الكلية ولكن انتظاري لم يسفر عن شيء لانها لم تأتي في ذلك الصباح ، ولهذا فقد تركت الجامعة بدوري وخرجت وأنا لا أعلم مـاذا أصنع ؟ والى أين أتوجه ؟ فرحت أتجول في الشوارع على غير هدى واذا بي أتذكر صاحبنا العالـم الديني وانه منحرف الصحة وتذكرت وعدي له بالمرور عليه فوجدت أن علي أن أذهب اليه ، ثم أن قلق روحي في حاجة الى هدوء نفسه المريح وفعلا فقد قصدت بيتـه مسرعا ، وأمام الباب حاولت ان أسـبغ على وضـعي بعض آثار الهدوء ، ثم طرقت الباب ففتحه لي الصبي الصغير الذي فتحه في أول مرة فسألتـه عـن صحـة الاستاذ ، فقال :

ان صحته أحسن وسألني اذا كنت أحب أن أدخل اليه ؟ والحقيـقة انني كنت أحب ذلـك فـان الاحساس الذي يشدني اليه كان قويا جدا سيما وأنا في ساعاتي الحرجة تلك ، كان مثلي مثل الغريق الذي تعوزه أسباب النجاة ثم يلمح منارا هاديا من بعيـد فيتوجه نحوه متأرجحا بين النجاة والغرق ، ولهذا فقد طلبت من الصبي أن يقودني اليه ، فسار الى جواري خطوات ثم رفع رأسه نحوي ونظر الي ببرائة قائلا :

لماذا جئتما متفرقين في هذه المـرة ؟ ولـم أفهـم بالوهلة الاولى ماذا يعنيه ولهذا فقد سألته :

ماذا تعني ياعزيزي ؟ قال بشيء من الخجل :

أقصد لماذا لم تأتيا معا كالعادة ؟ ففهمت عنه في هذه المرة واجبته باختصار انها مريضة ياعزيزي ، قال :

مريضة ! ولكنها كانت هنا قبل دقائق، فتوقفت عن السير والتفت نحوه في لهفة قائلا :

كانت هنا قبل دقائق ؟ وكأن الصبي فطن الى أنه قال مالاينبغي أن يقال فعلى الاحمرار وجهه ولم يرد علي ، فحاولت في هذه المرة ان أبدو طبيعيا ثم عدت أسأل :

اذن لقد سبقتني في الزيارة وهل انتظرت كثيرا ؟ قال بأسلوب مما يريد أن يختصر الحديث :

انها لم تدخل ، استفسرت عن صحة ابي من عند الباب وذهبت ، وحدثت نفسي قائلا اذن فهي قد سبقتني الى هذه المبادرة ، وهي مازالت مشدودة لهذا الاستاذ كما انني مازلت مشدودا اليه ، ودخلت على الاستاذ فوجدته أحسن حالا وان كانت اثار الحمى لم تفارقه بعد ، وجلس يحدثني بمختلف الاحاديث فارتحت اليه ووددت لو تحدثت اليه بمشكلتي ولكن الخجل منعني عن ذلك وكنت انتظر منه أن يذكر هو شيئا عن سندس ولكنه لم يتعرض

لذكرها ولم أطيل البقاء فقد خشيت أن اثقل عليه وهو مريض فاستأذنت منه مع طلب موعد للمجيء ، فظهر عليه بعض التردد الممزوج بالاستغراب ثم قال :

الساعة الرابعة من عصر يوم غد ان شاء الله ، فشكرته على ذلك وخرجت متوجها الى البيت ، ومن هناك اتصلت بدار الطالبات مرتين فلم ترد على سندس وكنت أريد ان اخبرها بالموعد عساها تذهب فنلتقي هناك ، ولما يأست من ردها على اعتراني شعور مرير باليأس وانطلقت مني كلمات غير معينة بالنسبة لي وهي تقول :

ماذا أصنع يا الهي ؟ كيف يمكنني أن أعرف السبب ؟ وفجأة قفزت الى ذهني كلمات الاستاذ وحديثه عن ضرورة الايمان بالغيب وحاجة الانسان لذلك الايمان ، فها أنا الذي لم أتذكر من قبل أن لي ربا يعبد ها أناذا الوذ به في ساعة العسرة بشكل فطري وعفوي ، وكان في استعادة هذه الكلمات ما دفعني لان اجبر نفسي على العودة لمطالعة الكتاب الذي أعارني اياه الاستاذ على أمل أن انصرف اليه عن أفكاري ، وفعلا فقد حاولت أن أقرأ ، ولكن وجه سندس الغاضب الحزين كان يترائى لي من بين الكلمات فيشدني نحوه ، ونظرتها العميقة العاتبة كانت ترتسم أمام عيني فتحول بيني وبين رؤية كل

شيء عداها ، كنت أحس بها وقد ملكت زمام وجودي بأجمعه واستحوذت على مشاعري برمتها ، ولهذا فقد عز علي ان أقرأ مالا أفهم فاغلقت الكتاب وقد خطر لي أن أكتب بضع كلمات أرسلها لها عند الصباح ، وفعلا فقد أخذت القلم وكتبت واذا بالبضع كلمات تتكاثر حتى تملا صفحات وصفحات ، وختمت رسالتي بهذين البيتين

فليتك تحلو والحياة مريرة
وليتك ترضى والانام غضاب
وليت الذي بيني وبينك عامر
وبيني وبين العالمين خراب

وكأن هذه الكلمات قد حققت لي بعض الراحة لانني توهمت أنها سوف تكون شفيعتي لديها ، وانها كفيلة بمسح الشوائب التي خالطت فكرها عني ، ولهذا فقد تمكنت من نوم متقطع وبكرت في الذهاب الى الجامعة على أمل أن اوصل رسالتي اليها بأسرع وقت، وفعلا فقد وجدتها تسير وسط مجموعة من الطالبات فأعطيت الرسالة لاحد المساعدين وطلبت منه أن يوصلها لها ولم تمض دقائق حتى عاد المساعد وهو يحمل بيده الرسالة قائلا :

لقد رفضت أن تستلمها ، فعرفت أنها خمنت ان تكون الرسالة مني ، والعجيب انني لم أحس تجاهها بأي غيظ فقد كنت أعتقد بأنها معذورة وان لديها مايدفعها الى هذا الموقف ، وهذا ماكان يحيرني بالامر ، ولم أعد ظهر ذلك اليوم الى البيت ، فقد كان لدي مايدعوني الى البقاء في الكلية ولهذا فقد توجهت من هناك رأسا الى بيت الاستاذ ، وعندما وصلت الى هناك وجدت سندس تقف أمام الباب تنتظر الاذن بالدخول ، ففهمت من ذلك بأنها قد أخذت موعدا من الاستاذ كما أخذت أنا موعدا منه ، فتقدمت نحوها محييا فردت بشيء من البرود واللامبالاة ولاحظت ان الهزال والاصفرار قد بدا واضحا عليها وان هالة زرقاء تحيط بعينيها وتحكي عن ساعات طويلة من السهر فمددت نحوها يدي وأنا أقول :

هل أنت سندس حقا أم انني في حلم ؟ فأطرفت ولم تجب ، فاردفت قائلا :

لطيف ان يشدنا حبل واحد نحو هذا البيت ، وفي هذا دليل جديد على اتحاد وجودينا ، فرفعت رأسها ونظرت الي نفس نظرتها الحزينة العميقة ثم قالت :

صحيح ان طبيعة الحبل الذي يشدنا الى هذا

البيت واحد ولكن لم يعد في هذا دليل على اتحاد وجودينا يافؤاد ...

فطار لبي لهذه الكلمات الرصينة الحزينة وقلت في صوت جريح :

أرجوك أن ترحميني يا سندس فأنا لا أعرف الحياة بدونك ولا أعترف بوجودي منفصلا عن وجودك ، أنت لي الحياة برمتها ، لماذا تقولين هذا وأنت نفسك لاتعترفين به ؟ فهزت رأسها بأسف وقالت :

سواء أعترفت أم لم أعترف فانه هو الواقع الذي يجب أن يعاش . فقلت في توسل :

لماذا ؟ لماذا ياسندس ؟ بماذا أسأت اليك يا ترى ؟ صارحيني بكل مالديك ياحبيبتي فانا لاأكاد أفهم شيئا ياسندس ، وهنا عادت تنظر الي بعمق وحزن أيضا ثم قالت :

انت لاتريد أن تفهم شيئا يافؤاد ، قلت :

كلا بل انني أريد وأقسم لك بانني على استعداد لان أسمع منك كل شيء ، فهزت رأسها في انكار ثم قالت :

ليس هذا وقت الحديث فان لدي موعد مع

الاستاذ في الساعة الرابعة . قلت وأنا أيضا لدي نفس الموعد ، قالت :

طيب اذن دعنا نتناسى مشاكلنا الشخصية لنتمكن من الاستفادة ، قالت هذا وطرقت الباب ، وسرعان ما فتح لنا فدخلنا الى الاستاذ ·

وبعد ان أستقر بنا الجلوس قال :

أرجو أن تكونا قد استمتعتما بقراءة الكتاب ؟
فشعرت بشيء من الخجل لانني لم أكمل مطالعة الكتاب ، ومما أخجلني أكثر هو أن سندس أجابت (ولاول مرة تجيبه بشكل مباشر) ولكن بشيء من الاستحياء قائلة :

أما أنا فقد استمتعت به واستفدت منه كما انني سجلت بعض ملاحظاتي أو استيضاحاتي عنه وعن الكتاب الاول وقد اتيت بالدفتر معي لتطلع عليه اذا سمحت ، قالت هذا وقدمت دفترا صغيرا على شكل دفتر المذكرات ، فظهر الارتياح على الاستاذ وأستلم الدفتر قائلا :

ان هذه بادرة تبشر بالخير وسوف أطالع الدفتر بكل دقة وعناية ان شاء الله ، ثم التفت الي ينتظر جوابي عما سأل وكأنه قرأ الجواب مرسوما على

صفحة وجهي فلم يشأ أن يحرجني ولهذا انصرف عني بسرعة وقال :

والان فلنعد الى الحديث لقد سبق منا القول بان الدين المطلوب هو الدين الذي يشتمل على خصائص انسجامه مع الفطرة ، وذكرنا لذلك أمثلة استخلصناها من العقيدة الاسلامية كالايمان بالغيب ، والنظرة الوحدوية للكون ، ولقد قلنا أيضا ان من شروط الدين المطلوب هو ملائمته للعقل لان الدين هو اختياري لاسبيل للجبرية فيه (لااكراه في الدين) لانه عقيدة يجب ان ترتكز في الصميم الصميم من العقل والقلب ، وما لم يكن الدين عقيدة راسخة في الفكر والقلب فهو لايعدو أن يكون طقوسا وعادات وأسلوب من أساليب الحياة ، اذن فهو اختياري للانسان ولايمكن ان يؤخذ عن طريق الجبر ، فان الاجبار قد ينجح في سبيل التطبيق أما في سبيل اليقين والاعتقاد فلا فائدة للاجبار بل ان المطلوب هو الاقتناع واليقين ، وعن طريق الاقتناع واليقين يحصل الاختيار للدين الاصلح ، ثم وأن حسن الاختيار ومعرفة الاصلح ، وسبر أغوار كل حقيقة تعتمد على مدى تكامل الرشد وتصاعد الوعي لدى الانسان ، وتصاعد الوعي ، وتكامل الرشد أمران اختياريان للفرد ، اذن فان الدين أمر اختياري يعتمد على العقل وينطلق منه ، والاسلام هو دين العقل

ولايوجد في احكامه وقوانينه مايخالف قـاعدة مـن قواعد العقل او يتنافر مع حقيقة من حقائق التصـور الصحيح ، ولهذا فنحن نجده يتحدث الى العقل ويدعو الى التدبر والتفكير ونبذ التقليد في العقيدة والتفكير كما جاء في الايات المباركة التي تقول :

(قل انظروا ماذا في السماوات والارض ومـا تغنى الايات والنذر عن قوم لايؤمنون) .

(او لم ينظروا في ملكوت السماوات والارض وما خلق الله من شيء) .

(أفلم ينظروا الى السماء فوقهم كيف بنيناهـا وزيناها ومالها من فروج) وغيرها كثير من الايات .

هذا هو الاسلام في اياته المباركة يدفع الانسان الى التفكر والتعقل ثم يعطي للعقل حريته في الاختيار بعد ايضاح الحجة له وتقديم الدليل ...

وبما أن طريق الاقتناع يحتـاج الى وضـوح في البيان ، ورسوخ وجلاء في البرهان ، وحكمة متكاملة الجوانب في الاستدلال فقد جمع الاسلام كل هـذا في رسالته التي قدمها للبشرية وهـي القران ، ولهـذا فنحن نتمكن ان نقول ان هذا هو ممـا اختصـت بـه رسالة الاسلام دون سواها من الرسالات ، فان كـل دين في حاجة الى بيان لطبيعة الرسالـة والى معجـزة

تؤكد او تدعم وجود الرسالة ، أما الاسلام فان بيان رسالته هو أولى معاجزه وأهمها فقد عجز عن مجاراته أكابر علماء اللغة وافذاذ أصحاب البيان بعد أن تحداهم القران وطلب منهم :

اولا : أن ياتوا بكتاب مثله (قل لئن اجتمعت الجن والانس على أن يأتوا بمثل هذا القران لايأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا) ٠

ثانيا : ولما عجزوا عن ذلك تحداهم بما هو أقل (أم يقولون افتراه قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين)٠

ثالثا : ثم وبعد أن عجزوا عن ذلك فبسورة مثل سورة (وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فاتوا بسورة من مثله وادعوا شهدائكم من دون الله ان كنتم صادقين) فلم يتمكنوا من مواجهة أي من هذه التحديات مع أنهم أرباب الفصاحة والبلاغة ، وكذلك أن كل دين في حاجة ايضا الى رسالة ، والى برهان يستدل به على الرسالة ، والاسلام جمع هذين الامرين في رسالته التي هي (القرأن) فان البراهين العلمية سواء منها الاجتماعية ، او الاقتصادية ، او الفلكية ، او مايتعلق بجسم الانسان كلها مجموعة ضمن هذه الرسالة فكم من الحقائق العلمية كشف العلم بعضها

ولم يكتشف البعض الاخر بعد قد ذكرها القران الكريم منذ اكثر من الف وثلاثمائة سنة على لسان رسول امي لا يعرف الكتابة والقراءة ٠

وكم من الافكار الاجتماعية التي دعا اليها الاسلام قبل اكثر من الف وثلاثمائة سنة قد توصل العالم اخيرا الى ضرورة تطبيقها مثل اعلان حقوق الانسان ، ومحاربة الرق ، ووضع الحلول الاقتصادية التي تحول دون الاحتكار والاستغلال وغير ذلك مما تتمكنان من مراجعته مفصلا في كتاب ـ الانسان في القران ـ للعقاد و ـ التعصب والتسامح ـ للغزالي اذن ، فان رسالة الاسلام قائمة بذاتها وهي تدل بنفسها على نفسها ويكون استقلالها هذا مستندا الى اسس قوية يرضاها العقل و تنسجم مع واقع طبيعة الانسان لانه ومن خلال نظمه يحفظ للانسان كرامته وحريته في حسن الاختيار ، فلا يكبل افكاره بخيوط من الجهل ولا يخدر احاسيسه بحبوب من الشعور بالخطيئة والذنب والصغار ، ولا يملي عليه اطروحته مرتكزة على الجانب العبادي فقط متجاهلا حياته ومتطلباتها فيما عدا ذلك ، فهو يشمل بالتشريع مختلف النواحي ولا يهمل جانبا دون ان يضع له القواعد الصالحة لكل زمان ولكل فرد من الافراد ويمكننا ان نقدم على ذلك دليلا صغيرا مستمدا من أسماء السور القرانية ، فان سور القران التي يبلغ عددها

(١١٤) سوره وقد تعددت اسماء بعض السور فكان لها اكثر من اسم واحد ونحن لوراجعنا هذه الاسماء التي لم توضع بدون هدف وغاية وقد وضعها رسول الاسلام بامر من الله تبارك وتعالى ، لوراجعناها لوجدنا ان قسما من اسماء السور تشير الى الكائنات الطبيعية مثل البقرة ، الرعد ، النحل ، النمل ، العنكبوت ، الذر ، الشمس ، النجم ، القمر ، الدخان ، الحديد ، وغيرها مما تندرج ضمن الموجودات الطبيعية ، ثم ان قسما من اسماء السور ايضا تشير معانيها الى المواقف الاجتماعية والسياسية مثل الاحزاب ، والمؤمنون والشوري ، والنساء ، والصف وهذه الاسماء تدور حول اوضاع واشكال المجتمع ، والقسم الثالث من الاسماء هو مايحمل معه اثارا تاريخية مثل ال عمران ، الانبياء ، يونس ، هود ، يوسف ، ابراهيم ، سبأ ، محمد ، الروم ، مريم ، نوح ، وهذه الاسماء كلها تدور حول التاريخ وابطاله واحداثه ، والقسم الرابع تشير الى المصير وماوراء العالم مثل القارعة ، والحاقة ، والواقعة اما القسم الخامس فهو مايشير الى المسائل الاقتصادية مثل الانفال والانعام ، والمائدة ، اما السادس مثل عبس ، والهمزه ، والمطففين فهي تدور حول الاخلاق وقواعد السلوك ، والقسم السابع من الاقسام هو مايدور حول العبادات كالحج ، والسجدة ، اذن ، فنحن

نتمكن ان نتوصل الى هذه النتيجة وهي ان اسم (٣٢) سورة وضع للكائنات والموجودات الطبيعية ، وان اسم (٢٩) سورة وضع للعقيدة والمبدأ الفكري واسم (٢٧) سوره وضع للمجتمع بما فيه من اصناف اجتماعية وسياسية واسم (١٧) سوره وضعت للتاريخ وفلسفته واسم اربع سور وضع للاخلاق والسلوك ، واربعة ايضا للقضايا المادية والاقتصادية ثم سورتان فقط خصص اسمها للعبادات والشعائر الدينية ، وهذا مما يوضح لنا فكرة الشمول في رسالة الاسلام فهي حينما تريد أن تربط الانسان بالله لاتربطه عن طريق العبادة المحددة فقط ولكنها تربطه مع الله عن طريق مختلف أدوار حياته ووجوده حتى تستحيل العبادة من الجهاد في سبيل الله الى الابتسامة في وجه الاخ المؤمن ، ونتمكن من هذا أيضا ان نعرف ان هذا أيضا هو مما يميز الشريعة الاسلامية عن غيرها من الشرائع حيث انها تجعل من جميع متطلبات الحياة الروحية منها والجسدية ، اذا أديت بالشكل الصحيح ، عبادة ، خلافا للشرائع التي تجعل العبادة وقفا على الجسد فقط ولهذا فهي لاتعدو أن تكون طقوس وعادات تنتهي بمجرد انتهاء ادوارها ولاتخلف أي أثر في حياة الفرد والمجتمع ولاتعني بتربية الروح من قريب او بعيدوخلافا ايضا للشرائع التي تجعلهامن خصائص الروح وعلى حساب الجسد حيث يفرض على

الجسدأحكاما صارمة قاسية من التعذيب والحرمان وفي أحاديث قادمة نوضح ذلك أكثر ان شاء الله ».وسكت الاستاذ فسكتنا لسكوته لحظات ثم طلبت منه موعدا جديدا فقال انه بعد يومين في تمام الساعة الرابعة من بعد الظهر ، فنهضت ونهضت سندس معي وودعنا الاستاذ وخرجنا شاكرين معجبين ٠

ووقفنا وراء الباب لحظات وكل منا لايعرف كيف يتصرف ، ثم كنت انا البادىء بالكلام فقلت :

هل تسمحين لي أن اسير معك قليلا ياسندس ؟ فنظرت الي نظرة طويلة ثم قالت :

كلا ! قلت :

ولكن عندي ما أريد أن أقوله لك ياسندس فأنا لاأطيق منك هذا الصدود واريد أن تصارحينني بكل شيء ، لاشك أن هناك ماعكر صفاء روحك ياحبيبة الروح ، قالت :

ولكنني ذاهبة الى دار الطالبات ولا اتمكن أن أتأخر دقيقة واحدة ، قلت :

اذن فأسمحي لي أن أسير معك الى هناك على الاقل ، قالت :

كلا انني لن أسمح بذلك يافؤاد فأنا اتمكن أن أذهب بنفسي الى هناك كما انني اتمكن ايضا أن اتي الى هنا بمفردي بعد يومين ، قلت متوسلا :

ولكن ما الذي يدفعك للمجيء اذن ؟ فرفعت رأسها بشيء من التحدي وقالت :

انني أصبحت صاحبة قضية في هذا الموضوع وما أنا الا باحثة عن الحقيقة لحسابي الخاص وانما هو أنت الذي علي أن أسألك ، ماالذي يدفعك للمجيء اذن ؟ لان الحقيقة ينبغي أن تكون واضحة لديك من قبل الان ، قلت :

ولكنها لم تكن واضحة لدي في يوم من الايام ، انني لم أكن أعرف عن الاسلام أكثر مما تعرفين ولهذا فانا الان أريد أن اعرف من أجل المعرفة ياسندس ، قالت :

اذن فلنستمر بمتابعة المعرفة من أجل المعرفة ، قلت :

ومن أجلي أنا أيضا ياسندس ، قالت :

من أجلك أنت ؟ قلت :

نعم أفلا استحق منك ذلك ؟ فسكتت لحظات ثم قالت :

الحقيقة انك كنت تستحق مني كل ما هو حسن وجميل ، قلت :

كنت ؟ قالت :

نعم كنت ، قلت :

وأي شيء جعلني عندك في خبر كان وأنا مازلت اعيش فيك ولك خلال كل لحظة من لحظات حيـــاتي ، فلم أعد أعرف للحياة معنا بدونك وبدون حبــك يـــا سندس ، فصدرت عنها آهة جريحة ولم تجب فاردفت أقول :

واذا كنت لاتسمحين لي بساعة من وقتك فاليك هذه السطور عسى أن تكون شــفيعتي لديــك ، قلت هذا ومددت يدي نحوها بالرسالة التي كانت لاتزال في جيبي بعد أن رفضت استلامهــا عنــد الصبــاح ، فترددت لحظة قلت لها خلالها متوسلا :

خذيها بالله عليك ياسندس فــانك لن تخسري شيئا باستلامها ، ان من الحيــف أن تتسبب فــرية صغيرة بهدم كل مابنيناه من صروح حــب وحنــان ، فمدت يدها واخذت الرسالة ثم قالت :

مامعنى الفرية يافؤاد ؟ قلت :

الفرية هي الكلمة الموضوعة او الخبر المكذوب قالت :

واذا حدث مايؤكدها أو اذا وجـد مـا يدل عـلى صدقها هل تبقى مجرد فرية او تتحـول الى حقيـقة يافؤاد ؟ قلت :

ان الثقة اذا بلغت أتمها فلا ينبغي أن يوجد مـا يزعزعها مهما كان قالت :

ولكن قد يشك الانسان حتى بنفسه أحيانـا ، قلت :

عند ذلك عليه أن يـكون صريحـا مـع نفسـه فيحاسبها ويراجعها لكي يتوضح لديه الشـك مـن اليقين فلماذا لاتكوني صريحة معي ياسندنس فسكتت برهة ثم قالت :

دعني أفكر اولا ، قلت :

شريطة أن تقرئي هذه السطور ، فعادت تقول بشيء من الضيق :

سوف أقرأها بعد أن انتهي من تفكيري في الامر والان مع السلامة ، قالت هذا واتجهت نحو بيتهـا في خطوات متقلة ...

أما انا فقد عدت الى البيت وأنا أهدأ مما كنـت عليه لانها رضيت أن تأخذ الرسالة اخيرا ، ولهذا فقد تمكنت من مطالعة الكتاب الذي ارشدنا اليه الاستاذ ومن مراجعة دروسي أيضا ثم تذكرت أبياتا شعريـة

كنت قد نقلتها قبل مـدة عن أحـد الدواوين على أن أقدمها لسندس وكان مطلعها هو :

رأيتك في يومي وأمسي الذي انقضى

ولي حيثما أمضي اليـك وصول

فخطر لي ان اخذها معي لاسلمها لهـا عنـد الصباح ولكنني افتقدتها من بين اوراقي ولما فتشت عنها لم اجدها بل افتقدت خلال التفتيش ايضا صورة صغيرة لسندس كانت قد اهدتها لي في بداية علاقتنا وصورة صغيرة لي ايضا ، فاستغربت ضياع هذه الصورة مع انها كانت محفوظة بين اوراقي المهمة في الجـرار الذي الى جوار سريري وعلى كل حال فقد قضيت ليلتي تلك بين النوم والمطالعة والتفكير وعنـد الصـباح ذهبت الى الجامعة أنتظر سندس هناك ولكنها لم تحضر لا في ذلك اليوم ولا في اليوم الذي بعده ولم اراها الا عند باب الاستاذ في عصر اليوم الثالث .

تقدمت نحوها وهي واقفة امام الباب فحييتهـا بلهفة مصحوبة مع كلمات حب جمدت على شفتي وانا ارى جمود ملامحها واسمع جوابهـا المقتضب ، ثـم اردت ان اطرق الباب فقالت :

لقد طرقتها قبلك ، قلت :

اذن لماذا لم يفتح لحد الان ؟ قالت :

انه مفتوح ولكن يبدو ان الاستاذ خارج البَيت وقد طلب ان ننتظره حتى يعود ، قلت :

اذن دعينا ندخل فليس من اللائق وقوفنا هنا ، فسكتت لحظة ثم قالت :

نعم ليس امامنا غير هذا ، ففتحت الباب وكنا نعرف الطريق الى غرفــة الاستاذ فتوجهنا اليهــا ، وهناك حاولت ان انتهز هذه الفرصة لا تحدث معها بشيء مما اريــد ولكنها سبقتني الى الحديث حيــث قالت بنبرة ساخرة مشوبة بالالم :

هلا اخبرتني ماذا رأيت في يومك يافؤاد وماذا رأيت في امسك الذي انقضى ؟ فاستغربت منها هذا السؤال ولم افهم عنها شيئا ولهذا فقد سكت لحظات ثم قلت :

ماذا تعنين بسؤالك هذا ياسندس ؟ قالت :

اقصد من الذي رأيت في يــومك وفي امسك ؟ قلت :

أن من تختلف عن ما ولهذا فانا اتمكن ان اقول بانني لم ارسواك وهنا تذكرت الابيات الشعرية التي ضاعت مني وودت لو كانت معي اذن لقدمتها اليها ثم حاولت ان اقرأ لها ما احفظه منها فقلت :

رأيتك في يـومي وامسي الـذي انقضى

ولـي حيثمـا امضي اليـك وصـول

فانت مـعي فيمـا جهـدت لنيـله

وادركني منـه ونـى وخمـول

وانـت معي فيمـا احـاول فـي غـدي

ويصبـو اليـه خاطـري ويميـل

وانـت معـي في كل درب قطعتـه

وانفقت فيـه العـمر وهـو طويـل

اذا أخمـدت دنيـاي كـل تـوثب

واوشـك ان يعـرو الشباب خمول

تراءيـت لـي في كـل امـر اخـافه

فاشـرق مربـد وضـاء سـبيل

وهنا قاطعتني سندس بشيء من النفور قائلة :

كفاية ، كفاية ارجوك فان من المؤسف ان لا تكون هذه اول بادرة شعرية منك يافؤاد .. ومن جديد لم افهم عنها ماذا تريد ان تقول فقلت :

ولكنني لم اتحـدث معـك بالشـعر من قبـل !

قالت :

نعم انك لم تتحدث معي أنا بالشعر ولكنك بدأت تتحدث بالشعر مع الاخرين ، قلت :

وهل لي حديث مع سواك ياسندس وانت حديث نفسي الوحيد ؟ قالت :

يمكن للكتابة أن تعوض عن الحديث أحيانا ، فرددت عليها بلهفة قائلا :

وهل عوضت كتابتي اليك عن الحديث يا سندس ؟ فهزت رأسها في أسف وقالت :

لو كانت قبل الان لامكنها أن تعوض وتزيد لانها منمقة الى أبعد حد ولكن ... قلت :

أرجوك لاتقولي أنها كانت منمقة فأنا لم انمق كلمة منها وانما هي عصارة روح ونفثات قلب وسفيرة امال كبار عذاب ، انني لم اتكلف بتنميق كلمة منها ياسندس ثم لماذا تقولين ، لو كانت قبل الإن ، ماذا حدث الان ياترى ؟ لماذا لاتريدين ان تكوني صريحة معي وما أعتدنا على الغموض في عالم العلاقة والحب ؟ قالت :

بودي لو أتمكن أن أكون أكثر جرأة على التحدث بالحقائق المرة ولكنني جبانة وعندما أتألم من شيء لا أقوى على ذكره ولهذا فعليك انت أن تكون صريحا يا فؤاد ، قلت :

انك أنت التي يجب أن تكشفي لي ماتحسين وما تعانين ، قالت :

ولكن ليس من المعقول الا تكون قد عرفت ما يضنيني يا فؤاد ! قلت :

للك أن تعدينني غبيا أو أي شيء اخر ولكنني لم أفهم على أي حال من الاحوال وأنا على استعداد لان أقدم حياتي لمن يعرفني بذلك ، قالت :

آه اذن انت لم تخمن حتى الان ، قلت :

كلا ولكنني تصورت قضية معينة سرعان ما استبعدتها فابعدتها عن ذهني ، قالت :

وما هي قضيتك هذه يا فؤاد ؟ فاردت ان أذكر لها مبيت فدوى عندي ولكن العهد الذي قطعته لها بالكتمان حال دون ذلك فبقيت ساكتا لحظات وأنا أعاني صراعا عنيفا بين الحديث وعدمه ، واذا بها تقول في صوت حزين :

ها انت لاتجرأ أن تذكر قضيتك يا فؤاد ومن حقك ان لاتجرأ على ذلك وها هو الاستاذ قد وصل ، وفعلا فقد كان الاستاذ يطرق باب الغرفة المفتوح برفق استعدادا للدخول ، فنهضت واقفا لاستقباله وأنا شبه مشلول الحركة والحس وقد صممت أن أحدثها بكل شيء بعد انتهاء المحاضرة فان قلب سندس

أثمن عندي من الوجود بأسره ،.واعتذر الاستاذ عن تأخره لامر طارىء ثم جلس وسألنا عن مطالعتنا للكتاب الذي ذكره لنا أخيرا ثم أعاد دفتر سندس اليها بعد أن أجرى على ملاحظاتها بعض التعديلات واوضح لها بعض الشبهات ثم بدأ يحدثنا قائلا :

لقد وقفنا في الحديث الماضي عند فكرة الشمول في الرسالة الاسلامية وكيف انها هي الرسالةالوحيدة التي تشد الفرد بخالقه عن طريق مختلف أدوار حياته الاجتماعية ، والاقتصادية ، والعاطفية ، والسياسية، حيث تصبح جميع تحركاته في الحياة عبادة صغيرها وكبيرها مهمها وبسيطها مادامت جميعها منسجمة مع القانون الالهي لمسيرة الحياة سواء ماكان منها ايجابيا كأقامة الصلاة وايتاء الزكاة أو سلبيا كاجتناب الظلم والابتعاد عن البغي ونبذ الفواحش ماظهر منها وما بطن والتنزه عن النفاق وقول الزور ، أو ماكان يستند منها الى الذهن كالتفكر في خلق السماوات والارض وسبر حقيقة الخليقة انسانها وحيوانها جمادها ونباتها ، أو ماكان روحيا أي ماكان يرتبط بالروح من أعمال كالصيام والاعتكاف حيث يبرز فيه الجانب الروحي وتأثيره في حقل الروح والارتفاع بمعنوياتها بشكل أوضح ، أو ماكان ماديا بما يرتبط في الزكاة والصدقات ومشاريع البر والاحسان ، أو

ما يتعلق منها بتوجيه مشاعر الانسان وسلوكياته من عقيدة وتفكر وعواطف وتنظيم لشؤون الاسرة وتصحيح أبعاد الروابط التي تربطه مع الكون والحياة ، قلت ممستغربا :

وهل أن العبادة تشمل كل هذه الجوانب الواسعة ؟ قال :

نعم أن شمول نظرة العبادة في الاسلام وسعت كل هذا ياولدي واعطت لكل جانب من جوانبه القيم الصحيحة وتكفلت بتقديم القدوة الصالحة ويمكنكما في هذا الخصوص مطالعة كتاب (نظرة عامة في العبادات) أما اليوم فنحن نريد أن نعرف مدى تكفل هذا الدين بطرح القيم التي من حقها أن تكون الانسان الصالح ، وهنا سكت الاستاذ برهة فسالته قائلا :

ما الذي تعنيه بالضبط من القيم يا أستاذ ؟ قال :

القيم هي عبارة عن الاحكام ياولدي ولهذا فأنا أريد أن أقول أن أحكام الاسلام أحكام بنائه تبني شخصية الفرد كفرد وتبني شخصيته على أساس انه جزء غير متجزء عن المجموعة البشرية أيضا ، فالشريعة الاسلامية حينما تضع له الاحكام تراعي بذلك مصالحه كفرد ومصالحه كواحد ضمن أفراد المجتمع ، وبذلك نجد أن التشريع يشكل وحدة موضوعية يتجاوب

بعضها مع بعض ويساند كل جانب منهـا الجـوانب الاخرى٠٠٠ وهنا قالت سندس :

وما هو مثل ذلك يا استاذ ؟ قال :

أن أحد أمثلته هو تحريم الخمر والقمار فان ذلك يتكفل بالاضافة الى تنزيه الفرد وتحصينه من مغبـة أضرار ذلك وويلاته بالاضافة الى هذا فهو كفيل بسد باب واسع من أبواب الجريمة التي حرمها الاسلام ، الجرائم التي تكون نتيجة فقدان الشعور او الجرائم ألتي تترتب نتيجة الاعتداء على الحقوق في القمـار أو الجرائم التي تأتي بسبب من التهالـك على هاتـين العادتين ، ولهذا نجد أن هذا الحكم ٠ الحكم بتحريـم الخمر والقمار ٠ يتكفل بصيانة الفرد كفرد وصيانـة المجتمع كمجتمع ، ومثال اخر هو فرض الستر عـلى المرأة أمام الرجال الاجانب ، عند هذا سكت الاستـاذ فقالت سندس في صوت ينبىء عن اللهفة :

حقا لقد كنت اتمنى لو أسمع شيئا عن مفهـوم الحجاب في الاسلام واسبابه ودواعيه ٠٠ فابتسـم الاستاذ ثم قال :

دعيني أولا أوضح لك سؤالك فانت في الحقيقـة تريدين أن تعرفي أسباب ودواعي الستر الذي فرض على المرأة في الاسلام وليس الحجاب لان الحجـاب في الاسلام مفهوم هو أخص من الستر ولهذا فان السؤال

ينبغي أن يكون عن الستر الذي هو أعم في التشريع لان كلمة الحجاب تحمل معها بالضمن معنى الاحتجاب ولم يكن هدف التشريع هو حجب المرأة عن الحياة وانما ستر مفاتنها فقط وفقط ولهذا نجد ان كلمة الحجاب لم تذكر في القران الكريم الا في الاية المباركة التي تقول (واذا سألتموهن متاعا فأسألوهن من وراء حجاب) وهذه الاية خاصة بنساء النبي (ص) وهي تعني الحجاب بمعنى الاحتجاب وهو التزام تأدبي خاص بنساء النبي لرفعة مكانتهن وسمو مقامهن ، قالت سندس :

اذن فان الاسلام عندما فرض الستر على المرأة لم يكن يريد من وراء ذلك عزلها عن الحياة وحبسها بين الجدران ؟ قال الاستاذ :

كلا يا ابنتي وأنا أتمكن ان أقدم اليك الدليل على ذلك من نفس آيات الحجاب فالايات المباركة من سورة النور تقول :

(قل للمؤمنين يغضوا من ابصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم ان الله خبير بما يصنعون وقل للمؤمنات يغضضن من ابصارهن ويحفظن فروجهن ولايبدين زينتهن الا ماظهر منها وليضربن بخمرهن على جيوبهن ولايبدين زينتهن الا لبعولتهن أو ابائهن أو اباء بعولتهن أو ابنائهن أو ابناء

بعولتهن أو اخوانهن او بني أخوانهن او بني اخواتهن او نسائهن او ماملكت ايمانهن او التابعين غير أولي الاربة من الرجال او الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء ولايضربن بارجلهن ليعلم مايخفين من زينتهن وتوبوا الى الله جميعا اية المؤمنون لعلكم تفلحون) ٠

أفلا تلاحظي أن غض البصر جاء في البداية كحكم الزامي للرجل وللمرأة سواء بسواء فلماذا هذا الحكم ياترى لو لم يكن من المفروض أن تعيش المرأة على مسرح الحياة كما يعيش الرجل سواء بسواء ؟ فلو كان الستر مما يحجب المرأة عن الحياة لما بقيت هناك ضرورة لغض البصر لاللرجال ولا للنساء ، فالت سندس :

آه نعم ان هذا صحيح يا استاذ ، قال الاستاذ :

ثم ان دور المرأة المسلمة فيصدر الاسلام يؤكد أيضا هذه الحقيقة فقد شاركت المرأة المسلمة خلال تلك الفترة في تحمل مسؤولية العمل من اجل الدين حتى انها أحيانا كانت تشهد الحروب والغزوات لتداوي الجرحى وتسقي العطشى وتبعث الحماس في نفوس المتخاذلين ولهذا نجد أن فرض الستر على المرأة في الاسلام جاء كأجراء وقائي للمجتمع ككل بما فيه المرأة ، قلت :

وكيف ؟ قال :

لان مما لاينكر هو ماتتمتع به المرأة من جوانب اثاره وفتنة للرجل وهذه‌الاثارة هي‌عبارة عن‌تحريك لغرائز معينة لديه وهنا يقف به الحال على مفتــرق طريقين ، فاما اشباع هذه الغرائز وتلبية رغباتها ومتطلباتهاواما وأدهاوالسيطرة عليها عن طريق‌الكبت وكل من هذين الطريقين وعر المسالك وخيم العواقب فاطلاق الغرائز على سجيتها دون حدود من ديــن او قيودمن‌عرف لاتعني‌سوى الفوضى‌الجنسية والتشتت الاسروي والتفكك العائلي والويلات الاجتماعية كما دلت غليه بعض الارقــام في البلــدان التي ســمحت بالاثارة اولا ثم سمحت بحرية الغرائز المثــارة ثانيــا فقد جاء في بعض الاحصاءات انــه (تتعــرض تســع فتيات للغصب والاختطاف من أصــل كل اثنى عشرة فتاة في بريطانيا ٠٠٠) وان (الجرائم ارتفعت بنسبة ٨٤٪ خلال سنوات قليلة‌بينما ارتفعت جرائم‌المراهقين الى خمسة اضعاف خلال النصف الاول مــن عــام ـ ١٩٧٥ ٠٠٠) كما انه جاء في تصريح لمندوبــة الامــم المتحدة التي كلفت بدراسة اوضاع المــرأة في الشرق العربي عــام ـ ١٩٧٥ ـ (ان ١٥٪ من السويــدين مصابون بالامراض العصبية والنفسية و ٤٠٪ مــن الدخل في السويد ينفق على معالجــة هذه الامــراض وذلك سببه الحرية التي نالتهــا المــرأة في السويــد

بالشكل الذي تمارسه) كما انه جاء في تقرير أخر عن الاتحاد الامريكي للخدمات الاسرية انه (اصبح انهيار الاسرة والذي وصل الان الى درجة وبائية هو المشكلة الاجتماعية الاولى فكل عام يفصل الطلاق بين اكثر من مليون شخص والمعدل الحالي هو سبعة أضعاف ماكان قبل مائة سنة واصبح عدد الاطفال غير الشرعيين ثلاثة اضعاف ماكان سنة ـ ١٩٣٨ ـ ويولد سنويا اربع ملايين طفل غير شرعي في الولايات المتحدة) بينما نجد ان نفس مندوبة الامم المتحدة تقول في تقرير لها (ان من حق المرأة السويدية ان تطالب بحريتها فان المرأة في الشرق العربي قد وصلت الى قمة حريتها في ظلال الاسلام) هذه هي بعض الارقام التي تعطينا فكرة عن مخاطر اطلاق الغرائز المثارة على حريتها ، اذن فلا يبقى امامنا سوى الكبت .. والكبت مع توفر دواعي الاثاره امر مرهق للرجال نفسيا وعصبيا وفكريا ، ولهذا فهو قد يدفعه الى مختلف الامراض النفسية والجسمية ، فلنفرض اننا جئنا بانسان ووضعنا امامه مائدة جمعنا عليها كل مالذوطاب مما يتصاعد عطره وتنتشر روائحته ثم ماذا ؟ ثم نمنح هذا الانسان من الاكل نمنعه بالقوة او نمنعه بلطف ، فيمتنع نفسه هو تأدبا ، فالى اي شيء نتوصل ؟ نتوصل بالنتيجة الى منعه من الاكل لكننا لن نتوصل الى منعه من الرغبة في الطعام

والشهية اليه لان هذه مشاعر لا يمكننا ولا يمكنه هو ايضا ان يحول دون استثارتها مع وجود هـــذه الانواع الشهـــية من الطعام ، ووضـــع الرجل تجــاه المرأة لايختلف عن وضع هذا الانسان تجاه الرغبــة في الطعام ، اذن ، فان الوضع الوحيد الذي يجنــب المجتمع مضار الاثارة وردود فعلها بشكليه هـــو ان تستر المرأة مفاتنها التي من طبيعتها ان تثير الرجل ، وبذلك تجنب نفسها وتجنب الرجل ويلات الاثارة ، قالت سندس :

اذن فان ستر المرأة ماهو الا مصلحة اجتماعية ، وعملية وقائية ؟ قال الاستاذ :

نعم ولكن بالاضافة الى ذلك هو مراعاة لمكانة المرأة والحفاظ عليها وتجنبها عن الابتذال وان تصبح سلعة رخيصة تلتهمها كل عين وتملأ من مفاتنها انظار الرجال ، ويمكنكما مطالعة كتاب ـ العفاف ـ لزين الدين و ـ الحجاب ـ للمودودي ، قالت سندس :

ولكنني كنت قد سمعت ان الســـتر دخــل في الاسلام عن طريق تســرب العادات الايرانيــة بين المسلمين ؟ قال الاستاذ :

ولكن الستر شرع في الاسلام قبل فتح المسلمين لبلاد فارس بسنوات ، ثم ان الستر المفروض عــلى

المرأة في الاسلام يختلف عمـا كانت عليه المرأة فـي ايران ، قالت سندس :

كما انني كنت قدسمعت ان هذا الستر شرع لاسباب اقتصادية ، قال الاستاذ :

ماذا تعنين بالاسباب الاقتصادية يا ابنتي ؟ قالت :

اعني ان الرجل عندما أراد استغلال المرأةواستعبادها فرض عليها هذا الستر ليحبسها فيالبيت ويستفيد من اعمالها وصناعتها : قال الاستاذ :

ولكن التشريع الاسلامي هـو ابعـد مايكون عن هذا لانه ضمن للمرأة حقوقها الكاملة واعطاهـا حق تملك كل تربح من العمل .

(ولا تتمنـوا مافضـل الله بـه بعضـكم عـلى بعض) .

(للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن) .

اذن فاي شيء يستفيد الرجل من تشغيلها مادامت هي المالكة الحقيقية لما تكسب ؟ وبالمناسبة فان هذا حق لم تحصل عليه المـرأة الاوربية الا مـوخرا حيث كانت تعمل بنصف اجرة الرجل ، قالت سندس :

لعلني لا اثقل عليك بالسؤال ياأسـتاذ ؟ قـال الاستاذ :

كلا تفضلي واسألي على الرحب والسعة ، قالت :

في خصوص موضوع الستر الذي فرض في الاسلام على المرأة لقد سبق ان سمعت انه تعبير عن نزعات الرهبنة وانكار الذات فهل لهذا شيء من الواقع ؟ قال الاستاذ :

انك يا ابنتي لو كنت قد تعرفت على حقيقة الاسلام اكثر لعرفت تلقائيا ان هذه دعوى لاساس لها من الصحة ، وهنا بدت عني اول بادره تدل على انني مسلم اختلف عن سندس حيث قلت :

ان نبي الاسلام هو الذي يقول لارهبانية في الاسلام ، فابتسم الاستاذ ونظر الي مشجعا وهو يقول :

اسمعي ها هو ابن الاسلام يعرف ان لارهبانية في الاسلام وهناك الاية المباركة التي تقول :

(ورهبانية ابتدعوها ماكتبناها عليهم)وقد جاء في التاريخ ان عباس ابن مضعون احد الصحابه الكرام حاول ان ينصرف الى العبادة فترك جميع ملاذ الحياة بما فيها النساء فذهبت زوجته الى رسول الله (ص) تشكوه اليه فأغضب ذلك رسول الله (ص) وخرج الى المسجد وصعد المنبر ونهى اصحابه عن ذلك وهو (ص) الذي يقول :

، « حبب الي من دنياكم ثلاث الطيب والنساء وقره عيني الصلاة » قالت سندس :

اذن فهو لايعدو أن يكون اجراء وقائيا للمرأه والمجتمع ؟ قال الاستاذ :

نعم وانك لو طالعت الكتابين اللذين ذكرتهما لك لعرفت تفصيل ذلك بما لايسعه المجال لضيق الوقت ، قالت سندس بشيء من الخجل :

هل لي ان اسأل اكثر ؟ قال نعم تفضلي واسألي ماتريدين ، قالت : ماهو مقام المرأة او ماهي نظرة الاسلام للمرأة وهل هي في حقوقها مشابهة للرجل ام لا ؟ فابتسم الاستاذ وقال :
انها متساوية وليست متشابهة قالت :

وكيف ؟ قال :

لان التساوي يختلف عن التشابه يا ابنتي فالتشابه امر غير ممكن لاختلاف تكوينيهما وتباين استعداديهما ، اما التساوي الذي هو ما يقتضيه العدل فهو موجود فان حقوق المرأة في الاسلام لاتقل عن حقوق الرجل باي مجال من المجالات والفارق هو فارق الاختلاف فقط ، تصوري ان رجلا يملك اشكالا مختلفة من الثروات ثم ارادأن يوزع ما يملك على اولاده في حياته فهو لاشك سوف يضع القسمة على اساس من كفاءة اولاده واستعدادهم وميولهم فيعطي الارض

الزراعية لمن له ميـول في الزراعه ويعـطي الامـوال التجارية لمن هو اعرف بالمعاملات المالية وهكذا فهو يحرص على ان يكون النـاتج متسـاويا وان اختلفت طبيعته بأختلاف استعداد وخبـرات كل مـن اولاده وهكذا الحال في المستوى الكلي لحقوق المرأة والرجل. فهما متساويان ولكن غير متماثلان نظرا للاختلاف التكويني الموجود بينهما ولهذا نجد ان للمرأة ماللرجل وعليها ماعليه في كافة مجالات العمل الدنيوية منهـا والاخروية فان ما تجنيه المرأه من اجر على العبـادة هو عين ما يجنيه الرجل وما تعاقب به المرأه على تركها للعبادة هو عين مايعاقب به الرجل ، وهذا يدلنا على ان حق المرأه مساوي ومماثل لحق الرجـل في حـال ومساوي وغير مشابه لحق الرجل في حال اخر ، فهـي تتشابه وتتساوى في مسـيرة الانسان لله مسـيرة المخـلوق للخالق وتتساوى ولا تتشابـه في مسـيرة الاحكام من الله للناس مسيرتها من الخالق للمخلوقين، هذا من ناحية حقوقها ولعلك لو قرأت كتاب ـ المرأة في الاسلام ـ للعقـاد و ـ الاسره المسلمة ـ للبـكاء لتمكنت من استيعاب ذلك اكثر اما سؤلك الثانـي حول نظرة الاسلام للمرأة ومـدى تقييمه لوجودهـا فانا ارجو اولا ان تحددي الشبه الموجوده لديك عن ذلك قالت :

هل ان الاسلام يعتبر المرأة هي رأس كل خطيئة وانها هي التي اغوت آدم فاكل من الثمره المحرمة ؟ قال الاستاذ :

كلا يا ابنتي فان الاسلام لايحمل المرأة هذا الوزر وقد ذكرت قصة ادم (ع) في القـران الكريم والايات التي تذكرها تقـول (فوسوس لهمـا الشيطـان) (فدلاهما بغرور) (فاسمهما اني لكما من الناصحين) وهذه الايات تدل بوضوح ان الغواية كانت لكليهما والاستجابة ايضا من كليهما سواءا بسواء ولا تحمل حواء اية مسؤولية خاصة ، قالت سندس :

ان هناك من يقول ان المرأه انما خلقت من اجـل ايجاد الرجل فوجودها مقدمة لوجود الرجل وليس وجودا قائما بنفسه فما هو موقف الاسلام من هذا ؟ قال :

ان هذا مما لايوجد في الاسلام فان الله تبارك وتعالى لم يخلق المرأه من اجل الرجل فقد كان يتمكن عز وجـل ان يوجد الرجل بطريقة اخرى وان يخلق عند الرجل الغرائز التي تجعله في حاجة للمرأة ولكنه خلقها كموجود مستقل يستند الى وجود الرجل بالمقدار الذي يستند وجود الرجل اليه والاية الكريمة تدل على ذلك حين تقول .

(هن لباس لكم وانتم لباس لهن)

والاية الاخرى التي تقول :

(وجعل منها زوجها ليسكن اليها) ثم الاية المباركة التي تحكي عن سبب الخليقة من غير تمييز بين رجل وامرأة ٠

(وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون) ٠٠ قالت سندس :

وما هو دورها بالنسبة للاولاد ؟ هل يعتبرها الاسلام كأناء تفريغ فقط كما تعتبر في بعض المجالات ام لا ؟ قال الاستاذ :

ان الاسلام يعطي للام مقامها الرفيع ويضع لها الحقوق الكاملة بالنسبة لاولادها ويعترف لها بدورها في اعداد الجنين مثل الاية المباركة التي تقول ٠

(يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى) ٠

ثم ان الاسلام قال على لسان نبيه (ص) ان الجنة تحت اقدام الامهات وبهذا وضع طريق الوصول الى رضاء الله تعالى هو رضاء الام وهذا يدل بوضوح على تركيز وجود الام في حياة الابناء والاعتراف بدورها الفعال في ذلك ، وانا ارجو ان تطالعي كتاب ـ الطفل بين الوراثة والتربية ـ وكتاب ـ مع الولد ووالديه ـ للسيد حسين الصدر عند هذا

كان موعد أذان المغرب قد حان فسكت الاستاذ فقلت له :

متى سوف يكون اللقاء القادم ؟ قال :

بعد اسبوع حيث تتمكنان من مطالعة الكتب التي ذكرتها لكما ٠

وخرجنا من عند الاستاذ ووقفنا في الشارع لحظات لاحظت خلالها ان عيون الرجال كانت تلتهم سندس بنظراتها وهذا شعور لم أكن لافطن اليه من قبل فعز علي ذلك وتمنيت لو حلت دونه بأي شكل ، واحسست أن سندس بدأت تشعر بالحرج حيث كانت تلم أطراف فستانها بتحفظ ، ومرت فترة صمت ثم قطعتها سندس قائلة :

مع السلامة والى اللقاء هنا عند الاستاذ ، ثم استدارت فقلت لها انتظري فان لدي ماأريد أن أقوله لك ، ولكنها لم تنتظر فمشيت نحوها وانا أقول :

سندس ، سندس ، دعيني احدثك بامر لعله يلقي ضوءا على الموقف ، وفي تلك اللحظة مرت سيارة أجرة فاستوقفتها وركبت فيها دون أن تنظر الي ، فما كان مني الا ان رجعت الى البيت مخذولا ، وفي البيت حاولت أن أهدأ ولكن ثورة روحي كانت عنيفة جدا فعدت الى الشارع اتجول فيه على غير هدى ثم مررت

على السوق واشتريت الكتب التي ذكرها الاستاذ وفي ساعة متأخرة من الليل عدت الى البيت مرهقا جسما وروحا ولكنني وفي الايام الاخرىحاولت ان أقرأ الكتب وان أقنع نفسي بالامل فحصلت على شيء من الهدوء النسبي مع ان تفكيري في سندس لم يبارحني لحظة وأني له أن يبارحني وقد ملك علي جميع المنافذ فلم تكن سندس بالنسبة لي صديقة فقط ولكنها كانت حياتي التي لاغنى لي عنها ...



ثم مرت الايام وأنا اتلهف الى يوم اللقاء وفي الوقت المحدد كنت عنده وقد وصلت سندس بعدي بقليل ، وكان يبدو متعجلا اذ شرع بالحديث بعد دخول سندس مباشرة فقال :

نعود اليوم لنعطي مثلا جديدا عن القيم البنائة التي في الاسلام فالاسلام قد حرم الصلاة في الارض المغصوبة ، والدار المغصوبة ولهذا التحريم جانبين ، جانب خاص ، وجانب عام ، أما الجانب الخاص فهو أن من أهم العبادات في الاسلام هي عبادة الصلاة حيث تسمو بها الروح منطلقة من عقال العالم المادي مقرة بالعبودية الخالصة لله الواحد القهار ولهذا ولكي تكون صادقة وطاهرة ونزيهة ينبغي لها أن ترتفع عن انسان صالح وصادق ونزيه ومن مكان طاهر ونزيه لم يدنسه الظلم الغاشم ولم يشوهه الاستغلال الظالم فان لصفاء الروح أثر بصفاء العطاء وروح المصلي في المكان المغصوب بين حالين : فهي

أما ساخطه على الظلم منكره له واما راضية به مؤيدة لوجوده ، وسخطها عليه كفيل بتكدير صفحتها واعاقة صفاء انطلاقها ورضائها به كفيل أيضا بطمس معالم اثارها في نفسه ومحو اثبات وجودها عند ربه لانـه خلط طاعة الله مع معصيته وتقرب الى الله في حال بعده عنه ، هذا من الناحية الخاصة ، أما من الناحية العامة فهو مايترتب على ذلك من استنكار للغصب ورفـض لقبوله والاستكانة له، وفي هذا حماية لحقوق الانسان واحترام للملكية ... وسكت الاسـتاذ فخطر لي أن أسأل :

لماذا اختيرت سورة الفاتحة من بين سور القران جميعها لكي تكون الجانب الرئيسي في الصلاة ؟ قال :

لان الفاتحة قد جمعتفي اياتها مجمـل العقيـدة الاسلامية من حمد وتسبيح ، واطاعة وتوحيد واعتقاد بالبعث والنشور ، وطلب للهداية الى اخر مازخرت به هذه السورة المباركه من مفاهيم ،.. قلت :

لماذا كانت ايات الصلاة غـير موجهـة لله تبـارك وتعالى عدى الايات الثلاث في نهاية سورة الفـاتحة ؟ قال :

لكي يفهم الانسان المصلي ان الصـلاة هي لـه أكثر مما هي لله تبارك وتعالى وانه هو الذي سـوف يستفيد من عطاءاتها الروحية والعقائدية والتربوية، قلت :

بالمناسبة لقد جاء في آية كريمة ان الصلاة تنهي عن الفحشاء والمنكر مع اننا نجد الكثير ممن يؤدون الصلاة لايتناهون عن المنكر ؟ قال :

أن الصلاة ياولدي تنهي عن الفحشاء والمنكر ولاتمنع عنه ، فهي لاتكبل الانسان تجاه الفحشاء والمنكر بأغلال من حديد ولكنها تتكفل باعطاء القيم التي تحول بينه وبين الفحشاء والمنكر وجانب العطاء فيها ثابت ولكن جانب القبول في نفس المصلي غير ثابت فهناك من يتقبل هذا العطاء بقبول واع يردعه عن التردي بمزالق الفحشاء والمنكر وهناك من لا يتقبلها أو لايعي ماتقبل منها فتراه لايتجنب عن منكر ولا يتوقى من فحشاء كما جاء في الحديث الشريف (ليس لك من صلاتك الا ماوعيت) قلت :

وهل ان جميع أشكال العبادة هي للعبد أكثر مما هي لله ؟ قال :

نعم ولو قرأت كتاب نظرة عامة في العبادات بدقة لعرفت الجواب مفصلا ، كما انه من مميزات الشريعة الاسلامية هو بروز الصفة الانسانية في قوانينها وتنظيم قواعدها ، فلا اقليمية ولاعنصرية ، ولاطبقية او شعور بالانانية وهذا هو الشيء الذي يبدو واضحا وجليا في نظمها وتشريعاتها روحا وموضوعا كماجاء في القران في خطاب الاية المباركة

للرسول (وما ارسلناك الا رحمة للعالمين) وكذلك فان في الامثلة التي تدل على تكفل التشريع الاسلامي بتقديم القيم التي تكون الانسان الصالح كفـرد وبالتـالي لتكوين المجتمع كمجموع هو توزيع المسؤولية عـلى الافراد (كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيتـه٠) وفي هذا اعطاء فرصة لكل فرد لان يبني نفسه ويبني من حوله وماحوله ، وشتان بين مجتمع تغذي روحياتـه بروح الانفرادية ، والاتكالية ، واللامبالاة ، وبـين مجتمع تقوم قواعده على اسس من الشعور بالمسؤولية الفردية والجماعية ، ان تشريعا يقلد المسؤولية لكل فرد من أفراد المجتمع بشكل يحسسه فيه بانه هـو بنفسه صاحب قضية وحامل رسالة ، تشريع كهـذا جدير ببناء المجتمع الفاضل المتماسك الجوانب وايضا ان مما يميز التشريع الاسلامي هو دمـج الاخلاقيـة ضمن قوانينه والتأكيد على احترام الاخلاق والاهتمام بالحفاظ عليها وجعلها قاعـدة من قواعـد تثبيـت الشريعة حتى قال نبي الاسلام (انمـا بعثت لاتمـم مكارم الاخلاق) وقال أيضا (اكملكم ايمانا أحسـنكم اخلاقا) ويمكنكما أخذ فكرة عن ذلك بمراجعة كتـاب ـ الاخلاق ودورها في الحياة ـ للسيد حسين الصدر٠

الى هنا سكت الاستاذ ونظر الى ساعته فعرفنا أن وقتنا معه قد انتهى فاستأذنـا للخـروج وطلبنـا

موعدا جديدا فكان بعد اسبوع ايضا فودعناه وخرجنا ٠٠٠ وامام باب البيت لفت نظري أن سندس لم ترفع الغطاء عن رأسها في هذه المرة كما كانت تفعل سابقا وأردت أن اتكلم وان أحدثها عن مبيت فدوى عندي ولكنها عاجلتني أن سلمتني مظروف أزرق مغلق ثم انصرفت مسرعة في خطوات مرتبكة قلقة ، فاردت أن أفتح الرسالة ولكن وجدتني في حاجة لان أقرأها وحدي لانني لم أخمن ردود فعلها علي ولهذا فقد أسرعت للبيت وقبل أن أخلع ملابسي جلست على حافة السرير وفتتحتها بيد مرتجفة فقرأت فيها مايلي :

بسم الله الرحمن الرحيم

السلام عليك يافؤاد ورحمة الله وبركاته ٠

كثيرا ماترددت قبل أن أكتب اليك هذه السطور ولكن وجدت ان الموقف أصبح حرجا أكثر مما يطاق وان هذا الوضع القلق أخذ يؤثر علي ويلون شتى جوانب نفسي ، فانا كنت اخمن كل شيء واتوقع كل شيء عدى ماحدث فلماذا حدث هذا ياترى ؟ لماذا تناسيت في لحظات جميع ماعقدنا من عهود وما ابرمنا من مواثيق ؟ لماذا ضعفت يافؤاد فاستهنت بكل هذه الكنوز من الحب وتجاهلت عيون العواطف الدفاقة

التي طالما تدفقت في قلوبنا من قبل ؟ لماذا هدمت يافؤاد تلك الصروح الشامخة من الامال والاحلام لماذا ؟ نعم لماذا ؟ ولعلك عرفت الان ماذا أعني وماذا أقصد وستجد مع هذه الرسالة الادلة التي وصلتني على ذلك بالاضافة الى ماحمله سمعي الي من دليل فأنا لاأريد ان احتفظ بدلائل خيانتك ولك بعد هذا ان تعلم كم تعذبت وكم اتعذب لولا مايربط على قلبي من النور الذي بدأ يلون حياتي بشكل جديد ، واعلم بأنني حينما أعرض عنك لايعني هذا بأنني سوف اتوجه الى سواك فان هذا مالا يكون ابدا لانك أنت...

سندس

وفتحت المظروف الثاني فاذا به صورتي الصغيرة التي أفتقدتها وصورة لسندس كانت قد أهدتها الي والابيات الشعرية التي افتقدتها ثم الشيء الذي هو أدهى وأمر صورتي وانا أقف أمام باب بيتي وامامي فدوى وأنا أشير اليها أدعوها للدخول ، عند ذلك عرفت كل شيء وتكشفت أمامي خيوط المؤامرة التي حبكوها ضدي وانا سادر في غيي وغفلتي حتى كدت أن أخسر سندس بعد أن خدعت بشكل فظيع فلم تكن حادثة فدوى سوى قصة مفتعلة صمم أدوارها باسم الذي التقط لنا

صورة في حال دعوتي لها للدخول وتذكرت الضوء الذي لمح أمامي حين ذاك ثم يبدو أنها لما قضت ليلتها في غرفتي فتشت في كل مكان حتى حصلت على صورتي وعلى صورة سندس التي أهدتها لي وعلى الابيات الشعرية التي كنت قد كتبتها من أجل سندس وفهمت في تلك اللحظة أيضا معنى سؤالها لي أن ماذا رأيت في يومك وفي أمسك ؟ اذ كان هذا هو مطلع الابيات التي حسبت انني قدمتها لغيرها، وخمنت انهم اتصلوا بها وطلبوا منها ان تتصل بغرفتي في الصباح الباكر ولاشك ان فدوى هي التي ردت عليها والله أعلم بما قالت وهكذا تكشفت امامي الحقائق المرة دفعة واحدة ، ولم أحاول أن استسلم للالم وانهار أمام المفاجأة ، فنهضت مسرعا وخرجت متوجها نحو سندس لكي أشرح أمامها كل شيء ولكن وفي منتصف الطريق فطنت الى حقيقة كنت قد غفلت عنها وهي الطريقة التي أتمكن ان أثبت بها برائتي أمامها مع هذه الادلة الحسية التي تدينني أمامها ، وشعرت بالتردد ثم أحسست بالانهيار وخطر لي أن أعود الى غرفتي أفكر في الموقف الذي علي أن اتخذه معها فعدت وأنا في أشد حالات الحيرة والالم وجلست في غرفتي أفكر ، وشعرت بحاجة شديدة الى من يهديني لما ينبغي لي أن أصنع وفجأة أمتدت يدي الى القران الكريم الذي كان موضوعا على أحد رفوف

المكتبة وهو في داخل علبة مذهبة وكان قد وضع هناك
الى ذلك الحين للزينة فقط أما خلال أزمتي الروحيـــة
تلك فقد شعرت انه منقذي الوحيد ، وفتحته في لهفة
فاذا بالسورة التي تطالعني فيه هي سورة محمــد
فرحت أقرأ وقد كان لمعاني السورة وايقاعها الساحر
أثر عظيم في نفسي فشعرت بشيء من الراحة وبعــد
أن أكملت السورة نهضت لاضع القران الكريــم في
مكانه فاذا بعيني تقع على مجموعة من شرائط التسجيل
فتذكرت انني حينما كنت أحاور فدوى وراء البـــاب
كان جهاز التسجيل يعمل بيدي ولاشك انه سجــل
الحديث كله ، وفعلا فقد أخــذت أجــرب الشرائــط
أبحث عن ذلك الشريط حتى وجدته ووجــدت فيــه
تسجيلا كاملا لما وقع منذ أن فتحت البـــابُ لفدوى
الى أن ودعتها وذهبت لانام في الصالون فحمدت الله
على ذلك وشعرت بامتنان عظيم لخالقي الذي دبرني
دون أن أشعر ، وكان الوقت قد تأخر بشكل لااتمكن
فيه من زيارة سندس فأحلت الموضوع الى الصباح
ونمت مطمئن البال وفي الصباح بكرت في الذهـــاب
الى الجامعة وانا أرسم في فكري صورا عديدة لماسوف
أقوله لسندس عند اللقاء ، تصورت نفسي أركــع
أمامها مقدما لها شريط البرائة كما قدمت لها قلبـــي
من قبل وكانت جميع خلجات جسمي ونبضات قلبي
قد أستمالت الى كلمات حب وهناك عرفت انها لــم

تداوم في ذلك الصباح فاتصلت بالقسم الداخلي
اسأل عنها فقيل لي أنها مسافرة الى اهلها فاستغربت
ذلك منها وعدت خائبا الى البيت .



ومرت الايام وأنا أسأل عنها في كل يوم فيكون الجواب أنها مازالت مسافرة وفي اليوم المحدد ذهبت الى الاستاذ واخذت معي الشريط والرسالة شرحت لها فيها كل شيء وكنت امل أن أجدها هناك وفعلا فقد وجدتها قد سبقتني بدقائق ولكنني فوجئت ان رأيتها تلبس ملابس الحداد وقد غطت رأسها بغطاء أسود زادها فتنة وجمالا وتمنيت في تلك اللحظة أن لاتقع عليها عين رجل سواي وعجبت لنفسي ولامثالي كيف كنت لاأشعر بهذا الشعور من قبل ؟ وسلمت عليها فاجابتني بشيء من التحفظ فقلت لها وانا أشير الى ملابس الحداد متسائلا :

خيرا ؟ ماذا أرى ؟ فاطرقت قليلا ثم رفعت وجهها وقد أغرورقت عيناها بالدموع وهي تقول :

أبي قد توفي ! فهزني حزنها واثر علي صوتها

الكئيب وشعرت أن دموعها قد انتقلت الى عيني وخرج صوتي متهدجا وانا أقول :

انا لله وانا اليه راجعون ، وسكت لا أعرف بماذا أزيد ومرت فترة صمت قصيرة كان لابد لاحد أن يقطعها وكان العالم الديني ساكتا احتراما لحزنها وانا كنت ساكتا أفكر بحالها وبموقفي منها أما هي فقد بادرت الى قطع حبل الصمت حيث وجهت الحديث الى الاستاذ قائلة :

أرجو أن تبدأ حديثك يا أستاذ فقد خلفت ورائي العديد من الاسباب التي تدعوني للبقاء واتيت من أجل الاستفادة منك وليس من أجل الجامعة كما انني تمكنت أن أقرأ الكتب التي ذكرتها لنا ولم تصرفني عنها الالام والاحزان لانني أصبحت أجد ان متابعة هذا الامر هو أهم شيء في حياتي ولهذا فانا أرجو ان تمارس حديثك كالعادة ، قال الاستاذ :

بارك الله فيك يابنتاه وارجو من الله عز وجل ان يلهمك الصبر والاجر وانني أبارك فيك هذا الشعور الصالح البناء والحقيقة انني قد أطلت عليكما مع انكما كنتما تتعجلان الامر ولولا مساعدتكما لي بالمطالعة لاحتجنا الى مدة أطول ، قالت سندس :

الحقيقة انني لولا رغبتي لان اسمع منك أكثر واكثر لتمكنت أن أقول بانني قد حصلت على القناعة الكافية ولكنني لاأريد أن أخسر بذلك قسما من الحديث ونحن مازلنا ننتظر حديثك عن الاسلام وتمكنه من تقديم قدوة صالحة او مثل أعلى او وسيلة ايضاح ، قال الاستاذ :

لقد سبق أن مررنا في حديثنا بمراحل ،

اولها : توضيح ان الدين ضرورة حتمية في حياة الانسان ،

وثانيها : تناول وصف للدين الصالح وكيف انه ينبغي أن يكون ملائما للعقل ومنسجما مع الفطرة. ومتمكنا من تقديم القيم التي تبني الانسان والمجتمع وان يكون قادرا على تقديم قدوة ومثل أعلى ،

وقد تحدثنا بايجاز عن كل مرحلة من هذه المراحل وعرفنا أن الاسلام هو الدين الوحيد الذي تتكفل بذلك وبقي علينا أن نذكر ماقدمه الاسلام من قدوة أو وسيلة ايضاح ، لان الفكرة التشريعية واي فكرة كانت لايمكن أن يكتب لها النجاح مالم تقدم مثالا معبرا عنطبيعة ما تدعو اليه وموضحا أبعادالخطوات التي وضعها ، فان عدم تقديم القدوة او وسيلة الايضاح يعني عدم واقعية هذا التشريع واستحالة تطبيقه على الوجه الصحيح، ولكن الحقيقة انالحديث

عن القدوة طويل وطويل جدا فان أول قدوه وهو نبي الاسلام محمد بن عبدالله. (ص) كما جاء في الاية المباركة (ولكم في رسول الله أسوة حسنة) والحديث عن الرسول (ص) وحده يحتاج الى ساعات وساعات بالاضافة الى القدوة الثانية ابن عمه وخليفته علي ابن ابي طالب(ع) والائمة الاحد عشر من ولده (ع) ويمكنكما مطالعة كتاب ـ عبقرية محمد ـ للعقاد وكتاب ـ حياة الامام أميرالمؤمنين ـ للسيد محمد صادق الصدر وكتاب ـ الامام علي ـ لعبد الفتاح عبدالمقصود وسلسلة ـ في رحاب أهل البيت ـ لبحر العلوم ، ثم هناك أيضا شخصيات اسلامية أخرى يستحق كل منها ان يكون قدوة صالحة على مدى التاريخ أمثال عمار بن ياسر وابا ذرالغفاري ومصعب بن عمير وميثم التمار ويمكنكما لدراسة شخصية هؤلاء العظام مطالعة كتاب ـ بين يدي الرسول ـ و ـ من مدرسة الامام علي ـ لبحر العلوم ولهذا فنحن نؤجل اللقاء القادم الى بعد مطالعتكما لهذه الكتب عند ذلك يمكنكما ان تتصلا وتحددا موعدا أرجو أن يكون هو الموعد الاخير ان شاء الله ...

عند هذا شكرنا الاستاذ واستاذنا للخروج وفي الخارج وقفت أمام سندس وانا أريد أن أقول لها شيئا ، ولكن وقفتها المحتشمة الوقور وابرادها السوداء التي تلف جسمها وتغطي رأسها اضاعت

علي الكلمات فلم أعد اعرف ماذا أقول ؟ ورحت افتش عن عبارة أبدأ بها ولكنني عجزت عن الحصول على شيء فبدأت الحديث قائلة :

مع السلامة يافؤاد ثم استدارت لتذهب وهنا خرج صوتي مبحوحا وهو يقول :

كلاً لاتذهبي ياسندس فان لدي ما أقوله لك ، فوقفت هنيئة ثم قالت :

ماذا لديك يافؤاد ؟ قلت :

انني أريد أن أثبت لك برائتي اريد أن تعرفي انني لك انت وحدك ياسندس وانني لم اخنك غمضة عين ، فشحب وجهها قليلا ثم قالت :

آه وكيف تثبت ذلك يافؤاد ؟ قلت :

انني أريد أن أحدثك بكل شيء ولكن ليس هنا وعلى قارعة الطريق ، قالت :

اذن اين ؟ قلت :

في أي مكان تقترحين ، قالت :

لاأعرف مكانا مناسبا إقترحه ، قلت :

مارأيك ان تأتي معي للبيت ؟ قالت بصوت يفصح عن التأثر :

أنا اتي معك الى البيت كما جائت فدوى ؟ ! كلا انني لن اتي ، قلت :

لو أتيتي لعرفتي عن فدوى كل شيء ، قالت باصرار :

ولكنني لن اتي يافؤاد قلت :

وذهابي معك الى القسم غير ممكن بطبيعة الحال وجلوسنا في مكان عام غير ممكن ايضا.لان لدينا احاديثا خاصة فماذا نصنع اذن ؟ فالتفتت سندس الى بيت العالم الديني وكأنها تريد أن تقول شيئا وبقيت ساكتة ، فخمنت ماذا تريد أن تقول فسألتها :

ماذا خطر لك ؟ قالت :

لماذا لانعود الى بيت الاستاذ ؟ قلت :

وتطلب منه خلوة نتحدث بها ؟ قالت :

خلوة ؟ كلا بل نتحدث أمامه او ليس هو أبونا الروحي وباعث النور في حياتنا اذن فلماذا لانجعله شاهدا على مانقول ؟ والحقيقة انني ارتحت لهذه‌الفكرة ولكنني شعرت بالحرج لتنفيذها ، قلت :

ولكن كيف سوف نعود اليه وما انصرفنا عنه الا الان ؟ قالت :

اذن فليس لدينا وسيلة ثانية وليذهب كل منا الى مكانه ، فشعرت بقلبي وهو يهوي خشية ان تتركني قبل ان تعرف برائتي ولهذا قلت لها بتوسل:

انتظري دقائق فقد يفتح الله علينا ياسندس ، فابتسمت بمرارة وقالت :

وهل ترى أن الوقوف على قارعة الطريـق ممـا يستساغ يافؤاد ؟ قلت :

صحيح انه أمر بعيد عن اللياقة ولكنني سوف أطرق باب الاستاذ فهو انسان نبيل ولن يحرجنا على أي حال من الاحوال قلت هذا و تقدمت نحو الباب بضع خطوات واذا بالباب يفتح ويخرج منه العالم الديني ، وما أن رانا حتى استغرب وقوفنا هناك طيلة هـذه المدة فسألنا باهتمام قائلا :

ماذا ؟ هل كنتما تنتظران سيـارة ؟ وجـرأني سؤاله وما بدا عليه من اهتمام بامرنا لان أقـول لـه بشيء من الارتباك :

الحقيقـة بأننـا في حـيرة ياسـيدي فـان لدينا مشكلة خاصة لانعرف المكان المناسب لعرضها ثم خطر لنا أخيرا أن نختار بيتك فهل تأذن لنا ؟ فمـد يده يفتح الباب وهو يقول :

تفضلا وادخلا الى تفس الغرفة التي كنا فيهـا قبل قليل ولن يضايقكما أحد . قلت ولكننا أردنـا ان نعرض مشكلتنا أمامك لتشارك لنا حلها ، قال :

أما الان فان لدي موعدا ولكنني سـوف أعـود اليكما بعد ساعة أرجو أن تكونا خلالها قد توصلتما الى الحل الصحيح ٠



واستقربنا المقام في الغرفة وهنا كدت ان انكر نفسي فقـد وجدتني وفي حـال كوني فانيا في حـب سندس لا اجراء حتى ان امس يدهـاو وجدت هـذا الحب الذي يملاء وجودي كله قد غلف بقدسية كان يفتقدها من قبل ، فانا الان اغار عليها حتى من نفسي، وانا الان اهاب حتى النظر الى عينيها ، ولا اجرأ حتى على لمس اطراف اناملها ، وقد ضاعفت هذه المشاعر من رغبتي فيها وحرصي عليها ، فقد اصبحت احس انها بالنسبة لي امل كبير وكبير جدا علي ان اسعى لتحقيقه واجتهد لنيله وقد كان هذا الاحساس كفيل باعطاء حبي شـكلا جديـدا يزيـده روعـة وحرصا واصرارا ، وتمنيت ان أبقى صامتا مندمجا مع مشاعر الحب الطاهرة التي نـورت جنبـات روحي بنورهـا المشرق ولكن كانت امامي مهمة اثبات برائتي وغسل الشوائب عن قلب سندس وفعلا فقـد بدأت اتحدث

بحديث تلك الليلة وكانت تستمع الي بهدوء حتى انتهيت وكأن الصدق الذي كان يبدو على كلماتي وعلى تعابير وجهي قد اغناها عن طلب الدليل ولهذا فقد بدا عليها الاقتناع بعد ان انتهيت من الحديث ، وانتظرت ان تطلب مني الدليل ولكنها لم تطلب وقالت بصوت يعبر عن الراحة والفرحة :

الحمد لله ، نعم الحمد لله الذي لم يخيب أملي فيك واعادك الي وانت احسن مماكنت ، قلت :
اراك لم تطالبيني بالدليل على ماذكرت ؟ قالت :
لقد اقتنعت بدون دليل لانك مسلم والمسلم لايكذب، قلت :

ولكنني اريد ان اقدم الدليل لكي ارتاح انا ياسندس ثم قدمت لها الشريط قائلا :

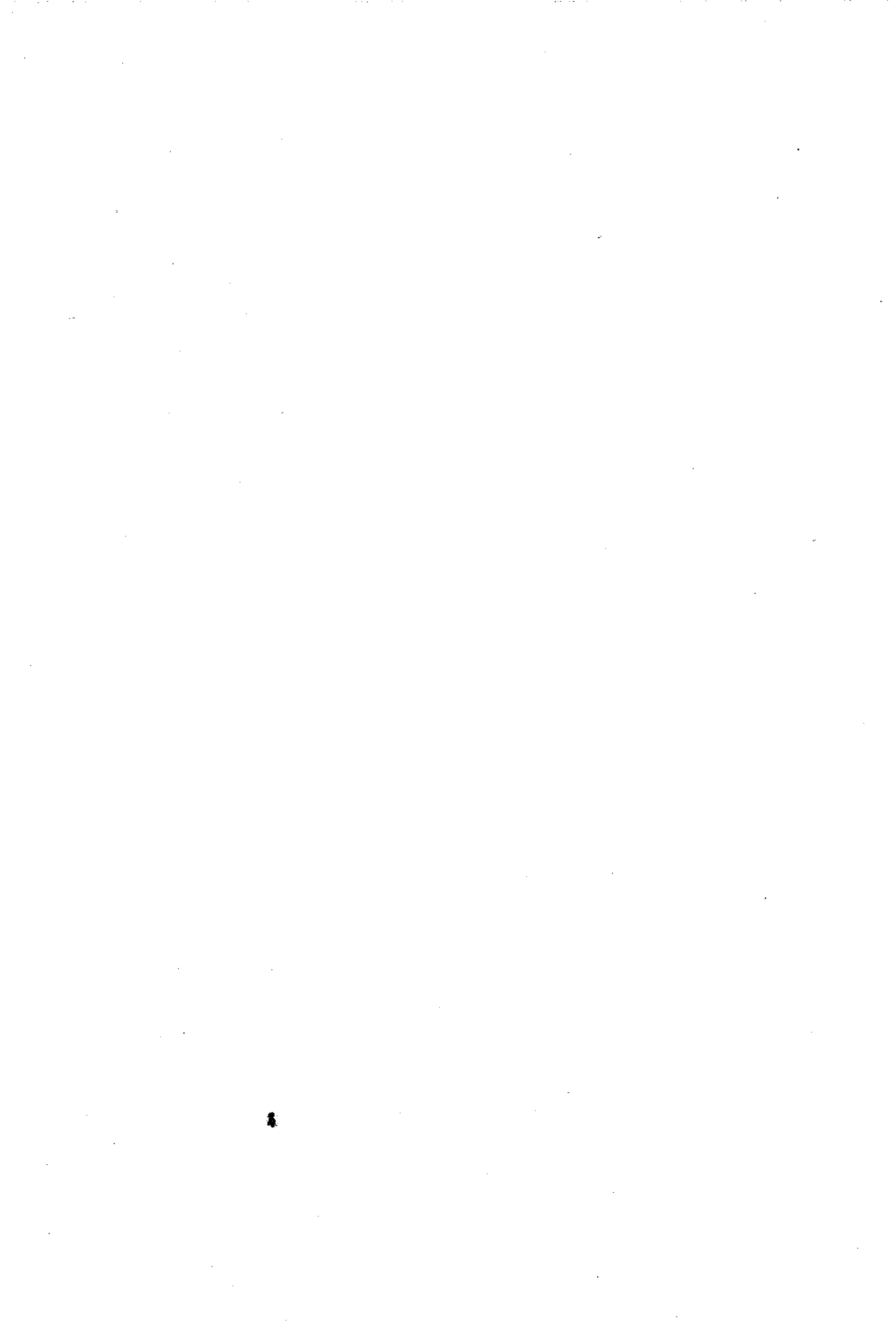
هذا هو الشريط الذي يحكى عن موقفي في تلك الليلة والذي كان يعمل داخل المسجلة التي كنت احملها بيدي ، قالت :

كلا انني لا اريد ان اسمعه لكي تعلم بانني مازلت اثق فيك ، قلت :

اذن دعي الشريط لديك ياسندس ، فاخذته وهي تقول :

استجابه لرغبتك يافؤاد ، وبعد هذا بدأنـــا نتحدث فترة عاد خلالها الاستـــاذ فشرحنـــا له أمرنـــا بايجاز فبارك لنا صلاح حالنا وودعنـــاه وانصرفنـــا وكلانا يشعر براحة كان قد افتقدها منذ زمان ٠





ومرت الايام ونحن دائبان على مطالعة الكتب التي ذكرها لنا العالم الديني وكنت عند الفراغ من مطالعة كل كتاب ازداد حبا بديني وايمانا به واعجب لنفسي لماذا وكيف كنت ادعي الاسلام دون ان اعرف عنه شيئا ، اما سندس فكانت قد التزمت بالحجاب بعد ان التزامنا معا بالصلاة ، وبعد ان انتهينا من مطالعة الكتب اتصلنا بالاستاذ نطلب منه موعدا فحدده لنا في اقرب فرصة . فذهبنا اليه وعندما استقربنا الجلوس قال :

هل قرأتما الكتب التي ذكرناها ؟ قلنا بصوت واحد :

نعم لقد قرأناها ، قال :

وهل تعرفتما على المثل التي قدمها الاسلام ؟ فأجبنا قائلين :

نعم لقد تعرفنـــا عليهم وتمنينـــا ان نسير على خطاهم .. فالتفت العالم الديني نحو سندس وهو يقول :

والان فاذا حصلت لديك القناعـــة الكافية بحق الاسلام فتفضلي وأسلمـــي يا بنتـــاه ، وهنا بادرت انا قائلا :

وارجوك يامولاي ان تلتفت الي اولا فالتفت نحوي قائلا باستغراب :

انت ؟ قلت :

نعم انا فان علي ان أسلم اولا فلم اكن اعرف عن اسلامي ماعرفت ولم اكن مسلما الا بالاسم فقط ، فابتسم الاستاذ ونظر الي نظرة عميقة ثم قال :

ولكنك لا تحتاج الى ان تردد الشهادتين ياولدي ويكفيك ان تكون مؤمنا ايمانا صادقا بالاسلام وبما جاء فيه ، قلت :

انني مؤمن به كل الايمان ياسيدي قال :

وهل انت مستعد لان تضحي من اجل الاسلام؟ قلت مؤكدا :

نعم وبكل شيء ، قال :

اعطني مثلا عن ذلك ، قلت :

انني الان لو علمت ان سندس غير مؤمنة بهذا الدين لروضت نفسي على تركها مع انهاأحب الي من نفسي ومن الوجود وما فيه ، فعاد يلتفت الى سندس وهو يقول :

وانت يا ابنتي ؟ قالت :

انني اشعر تجاه الاسلام بنفس الشعور فانا لم أعد ارضى بفؤاد لو لم يكن مسلما واقعيا مع انه اعز انسان عندي واغلى مافي الوجود لدي ، قال :

اذن فبارك الله فيكما ووفقكما لمراضيه وجعلكما نواة صالحة لجيل صالح خير وبعد هذا شهدت سندس شهادة الاسلام وقدم لها الاستاذ مصحفا كريما مذهب الحروف كما انه قدم لي علبة من الحلوى النادرة فشكرناه من صميم قلوبنا وودعناه وخرجنا بعد ان ولدنا على يده من جديد ، وبعد فترة تم عقد قراننا وعشنا في اسعد حال . وعندما رزقنا الله ولدا اسميناه باسم العالم الديني تيمنا به ولكي لا ننسى فضله علينا .



(او مـن كان ميتـا فأحيينـاه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها كذلك زين للكافرين ماكانوا يعملون)

صدق الله العلي العظيم

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ٠

والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا محمد وآله الطيبين الطاهرين ٠

رقم الايداع في المكتبة الوطنية ببغداد ٧٦٥ لسنة - ١٩٧٩

طبع بموافقة وزارة الأعلام بكتابها المرقم ١٤٠ بتاريخ ٢٧/٢/١٩٧٩